تمت اللعبة

جان بول سارتر

هلا

ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد



تمت اللعبة

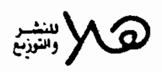
سيناريو فيلم

تاليف

چان پول سارتر

ترجمة

مجاهد عبد المنعم مجاهد



بطاقة فهرسة

سارتر، چان پول ١٩٠٥-١٩٨٠

تحت اللعبة .. سيناريو فيلم، تأليف/ چان پول سارتر ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد .- ط١ .- الجيـزة : دار هلا للنشر والتوزيع، ٢٠١٠

ص؛ سم.

تدمك ٨-٣٨٠-٣٥٦-٩٧٧-٩٧٨

١ - الأفلام السينمائية - تحرير وسيناريو

آ - مجاهد، مجاهد عبد المنعم (مترجم)

ب- العنوان

٧٩١,٤٣٥٢

اسم الكتاب : تحت اللعبة (سيناريو فيلم)

تأليف : چان پول سارتر

الناشر : هلا للنشر والتوزيع .

6 شارع الدكتور حجازي - الصحفيين - الجيزة

تليفون : 33041421 فاكس : 33449139

الموقع الإلكتروني : www.halapublishing.net

البريد الإلكتروني : hala@halapublishing.net

مدير التسويق : hazimhala@yahoo.com

رقم الإيداع : 2010/11186

الترقيم الدولي : 978-977-356-380-8

طباعة : هلا للنشر والتوزيع

طبع وفصل الألوان : هلا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

إهداء

إلى الأستاذة الفاضلة

هالة عمر

مع التحية والتقدير

مجاهد عبد المنعم مجاهد



حجرة لا تسمح لها المصاريع نصف المغلقة إلا بخيط وحيد من الضوء .

يسقط شعاع على يد امرأة تخدش أصابعها المتقلصة في الغطاء الفرو . يلمع الضوء على خاتم من الذهب، ثم ينزلق الضوء على الذراع ويسقط على وجه إيف شارليه .. تبدو ، وهي مغمضة العينين وحشرجة في أنفها ، إنها تتألم وتتأوه وتئن .

ينفتح باب ويخطو رجل من الفتحة . وهو يرتدي زيًا أنيقًا غامق اللون وله عينان داكناوان جميلتان وشارب أمريكي ، يبدو في الخامسة والثلاثين أو ما يقارب هذه السن ، هو أندريه شارليه .

ينظر متعمدًا إلى زوجته ، ولكن في إمعان ، بنظرة باردة تكاد تخلو من الرقة .

يدخل ، يغلق الباب دون أدنى ضوضاء ، يتسلل على أطراف أصابعه عبر الحجرة . يقف وهو ينظر إلى إيف التي لا تسمعه وهو يدخل .

وهي راقدة على السرير ، ترتدي ثوبا أنيقًا فوق قميص النوم . وغطاء من الفرو ملقى فوق رجليها .

يتأمل أندريه شارليه زوجته لحظة ، ووجهها يدل على أنها تعاني ألمًا حادًا ؛ ينحني وهو ينادي برقة :

« إيف .. إيف .. »

لا تفتح إيف عينيها . يتقلص وجهها بالألم . إنها نائمة .

يتجه أندريه وهو يدير رأسه ناحية المنضدة حيث يوجد كوب من الماء . يأخذ زجاجة وقطّارة يخرجهما من جيبه وينقط بضع نقط في الكوب .

ولكن إيف تحرك رأسها على الوسادة ، فيسرع ويضع الزجاجة ثانية في جيبه ناظرًا إلى زوجته النائمة نظرة حادة قاسية .

(حجرة جلوس آل شارليه)

في حجرة الجلوس الملاصقة ، تطل صبية غضة على الطريق من النافذة المفتوحة عن آخرها ، تتصاعد من الطريق ضجة فيها إيقاع منتظم لفرقة من الجنود وهي تمر .

يدخل أندريه شارليه الحجرة ويعيد إغلاق الباب . على وجهه الآن تعبير يدل على انشغال خاطره .

تلتفت الصبية الصغيرة عند سماع صوت انغلاق الباب . إنها حلوة وشابة ، ربما في السابعة عشرة ، ورغم أنها تبدو متوترة وجادة ، إلا أن وجهها الصغير لا يزال وجهًا طفوليًا .

في الخارج ، على وقع الأقدام الثقيلة التي تطرق الإفريز ، تنبعث أغنية خشنة ومُنغّمة .

بحركة مفاجئة ، تغلق الفتاة النافذة ؛ من الواضح أنها تجد صعوبة في السيطرة على نفسها ، تقول وهي تلتفت ولها مظهر المحنقة :

« لم يكفوا عن المرور منذ الصباح ! »

يخطو أندريه للأمام من غير أن يبدو عليه أنه لاحظها ، وفي وجهه ما يدل على التأثر ، يقف بجانب المتكأ . تتجه الفتاة الشابة نحوه ، عيناها تتساءلان في قلق ، يرفع راسه ويحدق فيها بأنظاره . يقول وهو يشوح بطريقة عرضية :

« إنها نائمة .. »

« هل تظن أنها يمكن أن تتحسن ؟ »

لا يجيب أندريه .

تضع الفتاة ركبة على الأريكة وهي مضطربة ، تهز أندريه من كمه . تكاد تبكي ، ثم تتفجر فجاة :

« كف عن معاملتي كطفلة ! أجبني . »

يحملق أندريه في أخت زوجته ، وبرقة يمسّد شعرها، ثم يحاول أن يزيد من رقة صوته في أُخوّة ونبرة بادية الألم يغمغم :

« أنت محتاجة أن تتمالكي نفسك يا لوسيت »

تتهنه لوسيت وتسند رأسها على ظهر المتكأ . إن يأسها يأس حقيقي وعميق ، لكنه يأس طفولي وذاتي، فهي ليست إلا طفلة هوجاء .. يغمغم أندريه برقة :

« يا لوسيت .. »

تهز رأسها :

« دعني وحيدة .. دعني وحيدة .. لا أريد أن أتمالك نفسي هذا ظلم حقًا ! ماذا سيكون من أمري دونها؟..»

يصر أندريه الذي لا يزال يمسد شعر الصبية ثم كتفها :

« هدئي من روعك يا لوسيت .. أرجوك .. »

تخلص نفسها منه وتغوص في المتكأ وهي تدفن وجهها بين يديها ، تئن :

« لا أستطيع أن أحتمل المزيد ! لا أستطيع أن أحتمل المزيد »

يلتف أندريه حول الأريكة . ولما لم يعد في استطاعتها أن تراه ، يصبح تعبيره قاسيًا ثانية وهو يراقب الفتاة الشابة بحِدَّة ، وهي تواصل :

« يومًا يكون لدينا أمل ، وفي اليوم التالي لا أمل على الإطلاق ، إن هذا كافٍ ليؤدي بأحدنا إلى الجنون . ألديك أدنى فكرة عما هي عليه بالنسبة لي ؟ »

تلتفت فجاة ناحية أندريه الذي يكتسي وجهه في الحال تعبيره الحاني :

« هي أكثر من أخت لي يا أندريه .. » تستمر في بكائها .. « هي أمي وأعز صديقة لي أيضًا .. لا يمكنك أن تفهم ، لا يمكن لمخلوق أن يفهم ! »

يجلس أندريه بجانبها :

يغمغم في لهجة رقيقة : « يا لوسيت ، إنها زوجتي .. »

تنظر إليه مضطربة ، تمد يدها إليه :

« هذا صحيح يا أندريه ، سامحني .. لكنك تعرف ، أنا من دونها أشعر أني وحيدة للغاية في العالم .. »

« فماذا يكون شأني أنا يا لوسيت ؟ »

يجذب أندريه الفتاة اليافعة إليه . تستسلم في ثقة عمياء وطهارة تامة إليه وهي تسند رأسها على كتفه ، بينما يستمر مخادعًا :

« لا أريدك مطلقًا أن تفكري »

« أنا وحيدة »

« ما دمت أنا معك . لن يترك أحدنا الآخر مطلقًا . أنا واثق أن هذا هو ما تريده إيف . سنعيش معًا يا لوسيت . »

لوسيت ، وهي هادئة الآن وقد كفت عن البكاء ، تغلق عينيها وهي تنشج من وقت لآخر مثل طفلة صغيرة .

(شارع المتآمرين)

فصيلة من جنود الحاكم تبدأ السير عبر شارع عامر بالسكان يرتدون قبعات واسعة بحوافٍ ضيقة ، وأجسادهم مشدودة تحت قمصانهم الغامقة المثبتة بأحزمة سام براون حيث تتدلى المسدسات ، يتقدم الناس ناحية ضجة الأقدام الثقيلة .

فجأة تبدأ الفصيلة المتقدمة تنشد نشيدها العسكري. يلتف الناس حولهم وهم يحملقون ، آخرون يبتعدون عن طريقهم وهم ينزوون في البيوت .

تدفع امرأة عربة طفل دون أن تتردد لحظة ، تتأمل في الوجوه عمدًا وبشكل طبيعي مبتهجة أكثر برؤية المارة .

تتقدم الفصيلة ، يتقدمها على بعد ياردات قليلة جنديان فوق رأسيهما خوذتان ، وسلاح التومي تحت ذراعيهما .. بينما الفصيلة تتقدم ، يخلي الناس الطريق دون اندفاع لكن في مظهر من التسرع

والعداء . جماعة من الرجال والنساء واقفة أمام مخزن البدالة ، تتشتت دون التسرع ، كما لو كانوا يطيعون أمرًا صامتًا . بعضهم يدخل المحال ، وبعضهم يختفي في أحواش الأبواب .

وعلى بعد ، تترك الزوجات عربات الخضراوات وكن قد التففن حولها ، يتفرقن ، بينما صبي صغير يداه في جيبيه ، يعبر الطريق في بطء ممعن تام يكاد يكون بين أقدام الجنود .

يراقب رجلان خشنا المظهر ، ذوا ملامح ساخرة ، الفصيلة المتقدمة وقد وقفا على باب بيت مقوس المظهر .

كل منهما يده اليمنى مخبأة في جيب معطفه .

(داخل حجرة المتآمرين)

غرفة مليئة بدخان السجائر فيها فوضى وأساسها سيئ . أربعة رجال على جانبَي النافذة ينظرون إلى الطريق محاذرين أن يراهم أحد .

وهم : لانجوا ، طويل هزيل حليق اللحية ؛ ديكسون ، رفيع وعصبي وله لحية قصيرة ، بولين بنظارة إطارها من الصلب وشعره رمادي ؛ رنودل ، قوي ضخم وجهه أحمر باسم .

يرتدُّون إلى وسط الحجرة حيث يوجد زميلهم بيير دومين وهو يجلس في اطمئنان مدخنًا ويشد مرفقيه على منضدة مستديرة مليئة بالكؤوس وزجاجة .

يكتسي وجه ديكسون النحيل تعبيرًا قلقًا . يسأل بيير:

« هل رأيت ؟ »

يرفع بيير كأسه ويشرب في هدوء ، ثم يسأل :

« ماذا رأيت ؟ »

يعقب هذه الكلمات صمت قصير . يجلس بولين ، يشعل رنودل سيجارة . يلقي ديكسون بنظرة على النافذة .

يقول : « الأمر هكذا منذ الصباح ، إنهم يشكُّون في شيء . . »

لا تتغير نظرة بيير المسالمة الكبيرة . يضع كأسه بهدوء على المنضدة وهو يجيب :

« ربما . لكن ما يشكون فيه ليس بالتأكيد هو ما سيحدث لهم غدًا . . »

يبدأ بولين مترددًا :

« أليس من الأفضل .. »

يلتفت إليه بيير فجأة وهو يقول في تشدد :

« ماذا ؟ »

« أن ننتظر.. »

وحين يلوّح بيير بحركة منفعلة يضيف رنودل بسرعة :

« ثلاثة أيام فحسب . الوقت كافٍ تمامًا حتى نقضي على شكهم .. »

ينظر إليه بيير مواجهًا إياه ويقول في لهجة قاطعة :

« هل تتردد ؟ »

يعنف رنودل ، ووجهه قرمزي اللون .

يحتج : « بيير ! »

يعلن بيير في تحمس : « الإنسان لا يؤجل شيئًا أثناء التمرد . كل شيء جاهز . فقد وزعت القوات ، والأولاد متلهفون . فإذا انتظرنا فسيفلتون من أيدينا »

يجلس رنودل وديكسون في صمت .

تستقر عينا بيير الحادتان على الوجوه الأربعة المواجهة له . يتساءل بصوته الحاد :

« هل هناك من معترض ؟ »

وحين لا يعترض أحد ، يواصل الكلام :

« حسنًا . إذًا سيبدأ الأمر غدًا صباحًا في العاشرة .

وغـدًا في المســاء سننام في ســرير الحــاكم . والآن أنصتوا .. »

تتقارب وجوه الأربعة الكئيبة المتوترة وبيير ينشر على المنضدة ورقة أخرجها من جيبه ويستمر :

« ستبدأ الثورة من ثلاث جهات مختلفة .. »

(حجرة إيف)

لا تزال إيف راقدة في السرير ، عيناها مغلقتان . تحرك رأسها فجأة على الوسادة وتفتح عينين باهتتين كما لو كانت تنهض من كابوس . فجأة ، تستدير برأسها وتطلق صرخة :

« لوسيت ! »

يعود إليها الوعي ، لكنها ما زالت تحترق من الحمى . ترفع نفسها بمجهود فيه ألم ، تزيح الغطاء وتجلس على حافة السرير . رأسها يترنح . ثم تمد يدها إلى كوب الماء على المنضدة تشرب جرعة ، يتقلص وجهها . تنادي ثانية لكن في نغمة ضعيفة :

« لوسيت ! لوسيت ! »

(شارع المتآمرين)

غلام في حوالي الثامنة عشرة ، شاحب وعصبي ، له نظرة مسترقة ، ينادي :

« بيير ! »

يكون الأخير قد خرج في هذه اللحظة من البيت المتهدم المظهر حيث تم اجتماع المتآمرين .. بيير وهو يسمع اسمه ينظر ناحية الصوت ، لكنه عند رؤيته الغلام يدير رأسه بعيدًا ويخاطب الديدبانين الواقفين على الباب .

يقول : « سيخرج الآخرون . يمكنكما أن تذهبا . الاجتماع هنا في السادسة هذا المساء . هل من جديد؟ »

أجاب أحد العملاقين : « لا شيء . عدا هذا الفلاح الذي يصرخ ويريد أن يصعد . . »

يشير بإيماءة من رأسه إلى الغلام الذي يقف بجانب دراجة عبر الطريق وهو يراقبهم .

يلقي بيير بنظرة أخرى تجاهه وهو يهز كتفيه .

« لوسيان ؟ ها ! »

يفترق الثلاثة بسرعة . يمضي الحارسان معًا ، يتجه بيير إلى دراجته المربوطة بسلسلة ، يتوقف لنزعها . وفي أثناء ذلك يعبر لوسيان الطريق . يلتفت إلى بيير وهو يصيح :

لا يعبأ الأخير بأن يرفع عينيه إليه . ينزع السلسلة ويضعها تحت مقعد دراجته .

« ارجوك يا بيير ان تنصت إليَّ ، الن تفعل ؟ »

يلتفُّ في الوقت نفسه حول الدراجة ليزداد اقترابًا من بيير الذي يرفع رأسه وهو ينظر إليه متفكرًا دون أن يقول شيئًا .

يقول لوسيان وهو ينشج : « ليست غلطتي .. »

يزيحه بيير جانبًا بحركة بسيطة بيده مندفعًا للأمام بدراجته . يتبعه لوسيان متلعثمًا :

« لقد آذوني إلى حد مخيف يا بيير .. لقد ضربوني ساعات وأنا لم أقل لهم شيئًا يذكر . »

يدفع بيير دراجته بهدوء إلى الشارع ويبدأ في تسلقها. يسمر لوسيان نفسه قدامه ، يداه على المقود. وعلى وجهه خليط من الغضب والخوف .. يصيح بصوت مضطرب :

« أنت قاسٍ علي للغاية ! أنا في الثامنة عشرة فحسب .. فإذا أسقطتني من حسابك ، فسوف أعتقد طيلة عمري أنني خائن . بيير ! لقد طلبوا مني أن أعمل من أجلهم .. »

في هذه المرة ينظر إليه بيير في إمعان . لوسيان في حالة جنون يقبض على المقود وهو يكاد يصيح :

« لكن ألا تقول شيئًا ؟ الأمر سهل بالنسبة لك ؛ فأنت لم تقاس ! ليس لك الحق .. أنت لن تذهب قبل أن تجيبني .. أنت لن تذهب .. »

حينئذ يقذفه بيير بصوت عميق من بين أسنانه :

« أيها الطائش القذر. »

وهو ينظر إليه مباشرة في عينيه ، يصفعه على وجهه.

يرتد لوسيان إلى الوراء دون أن ينطق ، بينما بيير ، دون تردد ، يعجل على « البَدَّال » وينطلق . هناك ضحكة رضى . يكون رنودل وبولين وديكسون ولانجوا قد نزلوا وراقبوا المشهد.

يلقي لوسيان عليهم نظرة سريعة ، يقف دون حراك ، ثم يمضي ببطء . عيونه تلمع فيها دموع الكراهية والخجل .

(حجرة نوم إيف ، وحجرة الاستقبال)

يد إيف تستوي على المنضدة قرب الكوب . تنهض إثر مجهود عنيف ، يرتعش جسمها وقد تولاها ألم فجائي.

مترنحة ، تنجح في الوصول إلى باب حجرة الاستقبال ، تفتحه ، تقف دون حراك في المدخل .

ترى لوسيت جالسة على المتكأ ورأسها على كتف أندريه .

تمر بضع لحظات قبل أن تلحظ الصغيرة أختها .

تنادي إيف في صوت مختنق :

« أندريه .. »

تخلص لوسيت نفسها من ذراع زوج أختها ، تُهرع إلى إيف . أندريه – وهو يبدي بعض الاضطراب – ينهض ويتجه نحوهما بخُطًى معتدلة .

قالت الفتاة الشابة : « إيف ! ما كان يجب لك أن تنهضي »

كل ما أجابت به إيف هو : « امكثي هنا يا لوسيت . اريد أن أكلم أندريه على حدة . »

ثم تستدير وتعود ثانية إلى حجرتها . لوسيت معقودة اللسان . يتجه بيير إليها بحركة مشبعة بالحنان ، راجيًا إياها أن تظل حيث هي . ثم يستدير ويختفي في حجرة النوم .

يلحق بزوجته التي تستند إلى المنضدة .

تقول في همس : «يا أندريه ، أنت لن تمس لوسيت..»

أندريه يزداد اقترابًا منها ، منفعلاً بدهشة خفيفة .

تستجمع إيف كل قواها حتى تتكلم :

« لا تشغل نفسك بمحاولة الإنكار . أنا أعرف .. لقد راقبت ألاعيبك عدة أشهر .. لقد كان هذا يتم طيلة مرضي .. أنت لن تمس لوسيت .. »

تزداد صعوبة في الحديث ، تحدق في عين أندريه الخالية من التعبير :

«لقد تزوجتني من أجل المهر ، وقد أَحَلْت حياتي إلى جحيم .. لم أشُكُ مطلقًا ، لكن لن أدعك تؤذي أختي.. »

ينظر أندريه إليها تلك النظرة الخالية من التعبير . لا تستطيع إيف الوقوف بسهولة ! لكنها تستمر في إرادة مؤكدة :

« لقد استغللت مرضي ، لكن سأشفى .. سأشفى يا أندريه . سأحميها منك .. »

تنزلق منهوكة القوى على السرير .

أندريه شاحب، يحملق في الكوب الفارغ على المنضدة. يتألق وجهه بينما صوت إيف لا يزال يُسمع وهو يزداد ضعفًا :

« سوف أُشفى .. وسأبعدها .. سأبعدها من هنا .. »

(شارع فى الضواحى)

لوسيان يراقب ، ونصف جسمه مختفٍ خلف جدار . وجهه شاحب ينضح عرقًا ، التواءة الشر في فمه ، ينتظر . يده في جيب ﭼاكتته .

في البعيد ، على بعد حوالي مائة وخمسين ياردة ، يبدو بيير على دراجة . هناك ظلٌّ إنسان في هذا الطريق رتيب وكئيب يتقدم بين أقبية المصنع . الناس يدفعون العربات على مبعدة من الطريق ويفرغون البضائع . بيير يصل إلى وسط المصانع والمداخن التي يتصاعد منها الدخان . يزداد الانفعال على وجه لوسيان في توتر ، تتحرك يده التي في جيبه ، يلقي نظرات عصبية حوله .

وببطء ، تخرج يده من جيبه ممسكة مسدسًا .

(حجرة نوم إيف)

لا يزال صوت إيف يُسمع في لهثة أخيرة فيها إصرار:

« سأشفى .. سأشفى يا أندريه .. لأنقذها .. يجب أن أشفى . »

تنزلق يدها من فوق المنضدة ، وهي تتحسسها ، ثم تتدلى نهائيًا وهي تُسقط معها الكوب والدورق على الأرض .

تحاول إيف وقد شعرت بإغماءة أن تتماسك ، وهي الآن تسقط على الأرض وسط ضجيج الزجاج المحطم..

ينظر اندريه شاحبًا - دون تأثر - إلى جسم إيف الممدد على البساط .

(الطريق في الضواحي)

طلقتان . يستمر بيير راكبًا بضع ياردات قليلة متارجحًا على كرسيه ، ثم يتدحرج من فوق دراجته إلى الأرض .

(حجرة نوم إيف)

تندفع لوسيت إلى الغرفة وتتجه إلى أندريه . ترى جسد إيف على الأرض ، فتطلق صيحة.

(الطريق في الضواحي)

جسد بيير ملقى وسط الطريق بجانب دراجة ، تظل العجلة الأمامية دائرة.

خلف الجدار الذي يحجب لوسيان ، يقفز على دراجة ويبدّل باسرع ما يمكن .

يتوقف الرجال الذين في الأقبية . سمعوا الطلقات لكن دون أن يفهموا شيئًا ، يرفعون رؤوسهم . يتردد أحدهم ويقرر أن ينحدر في الطريق .

عربة شحن ثقيلة تتوقف قرب جسد بيير . السائق وعاملان يقفزان . يسرع رجال آخرون من المصانع . هناك حشد من الرجال حول الجسد الممدد . يتعرفون على بيير ، وهناك فوضى من جرّاء الضجة.

« هذا هو دومين ! »

« من هو ؟ »

« دومين ! »

« لقد قتلوا دومين ! »

لم يلتفت أحد في التشوش العام إلى وقع أقدام الفرقة العسكرية أولاً خافتة بسبب البعد ، ثم تزداد وضوحًا . وفجاة تنبعث أنشودة الجنود يرددونها معًا . يتصلب وجه هامل وهو يخطف الكلام .

« طبيعي ؛ ومن يكون سواهم ؟ »

في هذه اللحظة تظهر الفصيلة ، منبعثة من الشارع القريب وتدريجيًا ينهض الرجال المنحنون على الجثة وهو يواجهون الفرقة القادمة . غضب يتألف في عيونهم . ينشقُّ صوت :

« الكلاب ! »

تظل الفصيلة تتقدم ، الجنود ينشدون ، قائدهم يراقب جماعة العمال بعين قلقة . العمال كلهم الآن

واقفون . يسدون الطريق ولهم مظهر المتوعد . بعضهم ينسلّ ودون أن يلحظوا يتجهون إلى جانب الطريق ليجمعوا الأحجار وقطع الحديد الخردة .

وبعد بضع خطوات قليلة أصدر قائد الجند أمر استعداد . وحينئذ صاح :

« قفوا ! »

في هذه اللحظة، بينما جسد بيير ممدد على الأرض، يقف بيير آخر على قدميه[1] .. ينظر كما لو كان مستيقظًا من حُلم وينفض آليًا أكمام معطفه . ظهره ناحية المنظر الصامت الذي يحدث . هناك على أي حال ثلاثة عمال يواجهونه ، لكنهم لا يرونه[2].

يتكلم بيير مع الرجل القريب منه :

« حسنًا يا باولو ، ماذا هناك ؟ »

---

(١) يقيم سارتر روايته منذ هذه اللحظة على انبعاث الميت للحياة مرة أخرى . وهو يمنحه كل الصفات البشرية ومن هنا سيكون ثمة بيير الجثة الملقاة على أرض الطريق ، وبيير آخر مبعوث هو بطل الرواية في الأحداث القادمة . (المترجم).

(٢) سيجعل سارتر الموتى يرون الأحياء دون أن يرى الأحياء الموتى ، وتكون براعة الإخراج السينمائي قائمة في تصوير هذا التصور من جانب سارتر. (المترجم).

لم يُجِب الرجل الذي يخاطبه . يلتفت هذا ببساطة إلى العامل القريب منه ويقول وهو يمد يده :

« اعطني حجرًا . »

يعطي العامل الثاني حجرًا إلى باولو .

فجأة ، يأمر قائد الفصيلة :

« افسحوا الطريق . »

لم يتحرك مخلوق من مجموعة العمال . عجلة بيير تدور ، يقول مغمغمًا وهو يراقب الفريقين المتعاركين :

« أنا أشم رائحة نتنة . »

ثم ، وهو يمر بين رجليهما خفيًا عن أعينهما ، يمشي دون تسرع . وفيما هو يمضي ، يمر على عمال عديدين مسلحين بقطع الحديد والقضبان ، هؤلاء الرجال يمضون دون أن يروه . في كل مرة يحدث فيها هذا ، ينظر بيير إليهم مندهشًا . لكن أخيرًا يهز كتفيه ولا يحاول بعد أن يفهم ، يمشي ، بينما خلفه صوت رئيس القوة الفظ يقول :

« ارجعوا ! لقد قلت أَخلوا الطريق ! »

(حجرة نوم إيف ، وحجرة استقبالها)

أرقد اندريه ولوسيت جسد إيف على السرير . بينما

يسحب أندريه الغطاء الفرو على جسد زوجته ، لوسيت في حالة انهيار ، تسقط على الأرض وتتفجر منتحبة على يد أختها التي لا حياة فيها .. في هذه اللحظة يد امرأة تمسّد شعر لوسيت برقة ، دون أن تحس الفتاة الصغيرة أدنى إحساس . إيف[1] واقفة بجوار السرير تنظر إلى أختها .

يعبّر وجهها عن بسمة وشفقة فيها دهشة يمكن أن يشعر بها إنسان إزاء حزن تافه ضئيل .. تهز كتفيها وتقف في مواجهة حجرة الاستقبال .

بينما تبكي لوسيت على جسد أختها الميت ، تظل إيف مرتدية رداءها في طريقها إلى القاعة تخترق حجرة الجلوس . لكن هناك تجد روز خادمتها التي لا تسمع الضجة بلا شك ، تأتي لترى ما قد حدث .

تقف إيف لترى روز وما تفعله وتنادي بحدّة :

« روز ! »

لكن روز ومظهرها مضطرب لما رأته ، تبدأ في الاندفاع ناحية المطبخ .

---

(١) إنها بالطبع إيف عينها ، لكنها ليست الجثة الملقاة ، وشأنها هو تماماً كما كان شأن بيير . ومنذ هذه اللحظة تبدأ أحداث الموتى تتداخل مع أحداث الأحياء . (المترجم).

إيف تصر : « لكن يا روز إلى أين تذهبين مسرعة هكذا ؟ »

إيف مضطربة قليلاً لرؤيتها، روز تغادر حجرة الاستقبال دون أن تجيب عليها بل وحتى دون أن يبدو عليها أنها رأتها أو سمعتها .

وفجأة ينبعث صوت ، ناعمًا في البدء ، ثم أكثر ارتفاعًا يكرر :

« لاجونزي .. لاجونزي .. لاجونزي .. »

تهز إيف كتفيها دون اكتراث وتنطلق .

(شارع)

يمشي بيير على الإفريز في شارع مليء بالحياة . يصاحبه صوت ينمو تدريجيًا في ارتفاع وأصوات أخرى أكثر وأكثر اتضاحًا تصيح :

« لاجونزي .. لاجونزي .. لاجونزي .. »

يستمر بيير في المشي ، لكن .. هناك فارق واضح بين بطء حركاته وسرعة الناس الآخرين الماشين . ينظر بيير كما لو كان يتحرك دون أن يُحْدث صوتًا ، كما لو كان في حلم .

لا يلاحظه أحد . لا يراه أحد .

وهكذا ، عندما يتجه إنسان إليه . يمد يده لمخلوق آخر وراء بيير ، بينما يظن الأخير انه هو المقصود بالحركة ، فيمد يده بدوره . يقف الرجلان أمامه مباشرة يتمانقان . يضطر بيير أن يلتف جولهما ليتابع طريقه .

هنالك ظلٌ انفعال لعدم اكتراثه ، لكنه يدل دلالة واضحة على أنه يجدهما وقحين في سلوكهما .

يتقدم خطوات أخرى قليلة ويتلقى دلوًا من الماء على سرواله وقد قذفه به حارس أمام بيت . يتوقف بيير وينظر إلى سرواله وهو جاف تمامًا . يزداد بيير دهشة ويتقدم في سيره .

يتقدم ويسمع الصوت :

« لاجونزي .. لاجونزي .. لاجونزي .. »

يتقدم بيير خطوات أخرى ويقف أمام رجل مهذب يقرأ جريدته منتظرًا سيارة عامة .

في اللحظة نفسها ينقطع الصوت .

يخاطب بيير السيد العجوز :

« عفوًا يا سيدي .. »

لا ينتبه الآخر، يستمر في قراءة جريدته وهو يبتسم.

يصرخ بيير : « عفوًا يا سيدي ، أين شارع لاجونزي ؟ »

(زاوية من الحدائق العامة)

تتوقف إيف قرب امرأة صغيرة جالسة على مقعد تشتغل بالصوف وهي تهز عربة طفل بقدمها .

تسأل إيف برقة :

«عفوًا يا سيدتي .. أين شارع لاجونزي من فضلك ؟»

المرأة الصغيرة التي لم تسمع كلمة تنحني على العربة. وتبدأ تُحْدث الضجة السخيفة التي تكوّن نكهة الحديث عندما يتكلم الكبار مع الصغار .

(الشارع)

الرجل العجوز يبتسم ، يواصل قراءة جريدته . يرفع بيير صوته ويشرح الأمر :

« لديّ اجتماع مهم في شارع لاجونزي ، ولست أعرف مكانه . »

يضحك الرجل العجوز بصوت أكثر ارتفاعًا دون أن يرفع عينيه عن الجريدة . هذه المرة يضع بيير وجهه تحت أنفه وهو يقذف الكلام :

« أيجملك هذا تضحك ! »

ويضيف برقة ليس فيها ضغينة :

« أيها العجوز الأثري ! »

يضحك الرجل أكثر من ذي قبل من أعماق قلبه ، يكرر بيير بصوت أشد ارتفاعًا :

« أيها العجوز الأثري ؟!»

في هذه اللحظة ، تتوقف سيارة عند الزاوية . يسقط ظلها على الرجل العجوز ، لكن الظل لا يسقط على بيير الذي يظل الضوء عليه كاملاً[1]. لا يزال الرجل العجوز يضحك ، ينهض من فوق المقعد الحجري ، يصعد السيارة ، فتنطلق به .

يتابع بيير ذلك الظل بعينيه ، يهتز أكثر ، يتابع مشيه .

على بعد قليل ، وهو يمشي على جانب الطريق ، يبدو فجأة على يمينه شارع جانبي أشبه بزقاق مسدود ، له حوائط على الجانبين لا شبابيك لها ، جماعة من الناس تقف صفًا أمام محل وحيد في نهاية الزقاق .. بقية الزقاق خالية تمامًا .

يصل بيير إلى منتصف الطريق ، يدير رأسه ويلاحظ

---

(٤) هذا بطبيعة الحال لأن المفروض أن بيير من الموتى فلن يتأثر بما يتأثر به الأحياء ، بينما الظل يسقط على العجوز لأنه من سكان الأرض ومن الواضح أن بيير وإيف حتى الآن لم يتبينا أنهما قد ماتا . (المترجم).

الزقاق الضيق، يُبطئ في مشيه ويقف فجأة . يتفكر في أمر الشارع الجانبي في دهشة . ووراءه سيارات وأتوبيسات مسرعة وهي تمر . يرفع عينيه إلى أعلى فتقعان على لافتة مكتوب عليها « زقاق لاجونزي » .

ثم ، في بطء ، يدخل الزقاق المسدود ، يمشي بين الحوائط الرمادية تجاه الجماعة الصغيرة الواقفة صفًا .

(الحدائق العامة)

تجد إيف نفسها بجانب الأم الشابة التي تواصل الابتسام لطفلها . تنظر إيف إلى الطفل وتسأل ثانية:

« إذًا أفلا يمكنك أن ترشديني إلى شارع لاجونزي ؟ أنا أعرف أن لديَّ اجتماعًا ، لكنني لا أدري مع من ، ولا ماذا أقول .. »

تبدأ الأم في مخاطبة طفلها ثانية :

« يا صغيري ، يا صغيري ، يا عزيزي ميكل ! أنا أمك يا حبيبي ميكل ! »

تهز إيف كتفيها وتنطلق ..

تترك الحديقة وتخطو جانبًا ، يبدو فجأة أمام عينيها زقاق ضيق مسدود ، في نهايته تقف جماعة من الناس .. تتفكر لحظة في أمر هذا الشارع الصغير

الصامت ، الذي يناقض الحدائق العامة المليئة بالضجة والحياة . تقرأ بدورها : « زقاق لاجونزي ..»

(زقاق لاجونزى)

يقف عشرون شخصًا أو يزيدون في صفين ، منتظرين أمام محل في آخر الزقاق . هنا أناس من كل سن وكل طبقة في المجتمع ، متلاحقون ؛ عامل يرتدي قبعة ، امرأة عجوز ، امرأة جميلة للغاية في معطف من الفرو ، فنان بوهيمي في أردية جلدية ، جندي ، رجل مهذب يرتدي قبعة الأوبرا العالية ، رجل عجوز قصير له رأس يهتز ، رجلان في زي الجندية ، وآخرون ، وبجانب آخر الواقفين يقف بيير دومين .

واجهة ومدخل المحل في ظلام دامس . لا توجد علامة على مدخل المحل .

تمر بضع لحظات ، ثم يُفتح الباب من تلقاء نفسه مع ضجة ترياس صغير . يختفي الشخص الأمامي في الصف داخل المحل وينغلق الباب برفق خلفه .

وهناك إيف تتجه آليًا ناحية رأس الزقاق . وفجأة تحتج أصوات :

« بالدور ، بالدور ! »

« من تظن نفسها ؟ »

« ليس الأمر بالقوة ! »

« ليست أكثر استعجالاً من أي واحد منا . »

« بالدور ، بالدور ! »

تقف إيف ، تلتفت حولها وهي تلاحظ وتبتسم :

« إذًا فأنتم تستطيعون أن تروني ؟ لستم ظرفاء ، لكني مبسوطة . . »

قالت امرأة ضخمة متوعدة : « بالطبع نستطيع أن نراك . لا تحاولي أن تتخطي دورك . . »

لا يقول بيير شيئًا ، لكنه ينظر إلى إيف .

يدق الجرس ثانية ويتحرك الطابور خطوة للأمام .

إيف تجر خطاها وتتخذ مكانها في نهاية الصف .

يراقبها بيير وهي تمشي . هو بجانب الرجل العجوز ذي الرأس المهتز . وإذ يدق الجرس ثانية ، يفتح الباب ويندفع رجل وامرأة يتأبطان الذراعين إلى المحل ، يخطو بيير والرجل العجوز خطوة أخرى . ينظر بيير إلى جاره في تهيج متزايد لم يعد يحتمل :

يصيح بعنف : « ألن تُبطِل هذه الحركة ! ألن تُوقِف هز رأسك ؟ »

لا يزال رأس الرجل يهتز ، يهز الرجل القصير العجوز كتفيه ببساطة جوابًا .

لحظات أخرى ، يدق الجرس ثانية ، الباب ذو الشراعة الزجاجية يُفتح من تلقاء نفسه . يدخل بيير وينغلق الباب وراءه آليًا . يخطو الطابور خطوة أخرى.

في داخل المحل الفارغ يرى بيير بنك المحل والرفوف المتربة . دون أن يتردد يتجه بيير نحو باب يفتح بلا شك على غرفة داخلية ..

(الغرفة في آخر المحل)

بعد غلق الباب . يتجه بيير إلى الغرفة . يتقدم بضع خطوات ناحية سيدة عجوز وراء منضدة . مصباح من الغاز موضوع فوق المنضدة، يضيف نورًا ضئيلاً إلى الغرفة المعتمة التي تضيئها نافذة ضيقة تطل على فناء داخلي .

الحوائط مغطاة بأوسمة وصور محفورة ورسوم تصور زقاق لاجونزي على ما يرى بيير .

يتجه بيير إلى المنضدة ويسأل :

« عفوًا ، لكن الستِ أنتِ التي يربطني بها ميعاد ؟ »

المرأة السمينة المُسنّة التي تثبت فوق أنفها نظارة كالتي تُستعمل عند مشاهدة المسرحيات ، تجلس وراء دفتر ضخم مفتوح أمامها وعليه قطة سوداء كبيرة متكومة كالكرة .

تنظر إلى بيير من خلال نظارتها وهي تبتسم في تردد :

« أنت مصيب يا سيدي . »

يتابع بيير كلامه وهو يمس القطة التي تفرد جسدها وتتمسح به : « إذًا فسيكون في مقدورك أن تخبريني عن الموضوع الذي جئت من أجله ؟ »

زمجرت المرأة العجوز : « ألن تتوقفي يا ريجولوس عن مشاغلة السيد ! »

يأخذ بيير القطة بين ذراعيه مبتسمًا بينما تستمر السيدة :

« لن أبقيك طويلاً يا سيدي .. أنا أريدك من أجل الرسميات المعتادة . »

تتصفح دفترها الكبير وتقول حينئذ :

« اسمك بيير دومين ؟ »

يسأل بيير مندهشًا :

« نعم .. لكن كيف .. »

تدير المرأة المسنة صفحات دفترها :

« دا ، دا ، دا ، دو ، دو .. دومين ، هنا .. مولود عام ١٩١٢ ؟ »

بيير الآن مذهول ، تستغل القطة الأمر فتتسلق كتفه .

« في يونيو ١٩١٢ ، أجل .. »

« هل أنت رئيس العمال في مَسْبَك آنسر ؟ »

« نعم »

« وقد قُتلتَ هذا الصباح في العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة ؟ »

في هذه المرة وهو مندهش ، ينحني للأمام ، يداه مستقرتان على حافة المنضدة . تقفز القطة من فوق كتفه إلى الدفتر .

يكرر بيير متشككًا : « قُتِلت ؟ »

تومئ المرأة برقة . يلقي بيير برأسه للوراء وينفجر ضاحكًا :

« إذًا الأمر هكذا .. إذًا الأمر هكذا ! أنا ميت . »

يتوقف فجأة عن الضحك ويسأل وهو مسرور تمامًا :

« لكن من قتلني ؟ »

« لحظة من فضلك .. »

تزيح القطة بخيط نظارتها من فوق الدفتر .

« ابعدي يا ريجولوس ، فأنتِ واقفة على اسم القاتل..»

ثم تقول بعد أن تجد المعلومات في الدفتر :

« ها هو : لقد قتلك لوسيان ديرجيو . »

يقول بيير ببساطة : « آه ابن الحرام الصغير ! حسنًا، يجب أن أقول إنه لم يخطئني . أليس كذلك ؟ »

تصيح المرأة المسنة وهي تبتسم : « رائع . أنت تتقبل الأمر قبولاً حسنًا . كما أرغب الا أقول الكثير لكل من ياتي هنا . »

« لماذا يعبؤون بكونهم موتى ؟ »

« هناك طبائع تميل إلى الكآبة بطبعها . . »

يشرح بيير : « بالنسبة لي ، ليست لديَّ عائلة ، كما أنني لا أهتم . » يبدأ بذرع الحجرة جيئة وذهابًا ويضيف مضطربًا :

«وبجانب هذا ، فالمهم أن تفعلي ما عليك أن تفعليه .»

يلتفت إلى السيدة المسنة التي تنظر إليه بمظهر المتشككة خلال نظارتها .

« الا تظنين الأمر كذلك ؟ »

« آه ، أنا كما تعرف مجرد موظفة بسيطة .. »

ثم تدير الدفتر ناحية بيير :

« هل لك أن توقِّع هنا من فضلك ؟ »

يظل بيير مضطربًا لحظة. وأخيرًا يرتدُّ إلى المنضدة، يتناول القلم ويوقع .

تقول السيدة المسنة : « هنا . أنت الآن ميت تماماً . »

يقف بيير معتدلاً ، ومازال متحيرًا . يضع القلم ، ويمس القطة وهو يسأل :

« إلى أين يجب أن أتجه الآن ؟ »

تنظر إليه بمظهر المندهشة .

« ماذا ؟ إلى أي مكان تشاء .. »

على أي حال ، عندما يبدأ في المضي خارجًا من الطريق الذي جاء منه ، تشير إلى باب في الجهة الأخرى :

« كلاً ، من هنا .. »

بينما يغلق بيير الباب خلفه ، تعدل المسنة النظارة ، تغلق دفترها . وبمظهر البريء ، تتظاهر بشد حبل الجرس ، وفي البعيد يُسمع صوت الجرس الأمامي معلنًا الزبون الجديد .

(شارع)

الباب الصغير لبناء قديم متداع . يخرج منه بيير . يتلفت حوله ليعرف أين هو ، يداه في جيبيه وانفعال بالانبساط على وجهه ، يخطو خطوتين .

على بعد ياردات قليلة . يمتد الشارع إلى طريق

عـمـومي حـيث يمتلئ بالحـركـة والضـجـة ، وفي هذه اليـاردات القليلة هـنـاك أناس أحـيـاء قليلون يمشـون مـسـرعين ، بينمـا أكـثـر من عـشـرة من الموتى إمـا جـالسون أو واقفون بجـانب الجدران أو هم يتسكعون بعد اكتراث فيما ينظرون إلى نوافذ الحانوت .

اثنان أو ثلاثة من الموتى من الدفـعـة السـابقـة ، وقـد اعتـادوا على الوضع، يلتفتون وهم يحملقون في بيير، ثم يدور الهمس فيما بينهم .

(الشارع والميدان)

يتقدم بيير ببطء ، صوت عجوز يحييه من ورائه :

« مرحبًا بك بيننا يا سيدي ! »

يلتفت بيير حوله . يرى جماعة من الناس في عادات مختلفة من أجيال متباينة : فرسان ، أناس من العصر الروماني ، معاصرون ، وأحدهم عجوز ذو قبعة عالية يرتدي زيًا من أزياء القرن الثامن عشر ، يجيبه :

« أنت قادم جديد . أليس كذلك ؟ »

« نعم .. وأنت ؟ »

يبتسم الرجل العجوز وهو يشير إلى زيه :

« لقد شُنقت عام ١٧٧٨ »

ينظر إليه بيير مشفقًا ..

« كانت غلطة قانونية . لكن لا أهمية لذلك . هل لديك شيء خاص تريد أن تعمله ؟ »

وقد أضاف مجيبًا على نظرة بيير المليئة بالدهشة :

« نعم .. مثل الذهاب لرؤية ما إذا كانت زوجتك تبكي، أو إذا كانت غير مخلصة ، أو إذا كان أولادك ساهرين على جثمانك ، إذا كانوا قد أقاموا لك جنازة من الطراز الأول .. »

يقاطعه بيير بسرعة :

« كلاً ، كلاً . كل شيء على ما يُرام . . »

« هذا أفضل .. إذًا تود أن أكون مرشدًا لك ؟ »

همهم بيير : « أنت عَطُوف للغاية . . »

لكن الرجل العجوز كان قد أخذ بذراعه مؤكدًا له :

« كلا ، كلا . يسرني هذا . إننا تعودنا أن ننتظر القادمين الجدد لندلهم على وضعهم الجديد . هذه تسلية . »

يصلان إلى زاوية الشارع ، يتوقفان . بيير وهو مسرور يلتفت حوله . يضع يديه في جيبيه ثانية .

هناك حشد متنوع في الميدان الصغير . الأحياء والموتى مختلطون .

الموتى يرتدون حُللاً من كل فترة تاريخية ممزقة قليلاً، ومتهرئة نوعًا ما .

وبينما يبدو الأحياء جميعًا مسرعين ، يتسكع الموتى حزانى خجلين إلى حد ما . معظمهم على أي حال قانعون بالجلوس هادئين أو هم واقفون في أركان الشارع ، أمام واجهات المحال أو في البيوت .

صاح بيير، « حشد من الناس، حسنًا . »

أجاب الرجل العجوز : « ليس هذا أكثر من المعتاد أنت الآن مقيد في السجل ، فتستطيع أن ترى الموتى أيضًا . »

« كيف يمكن تمييزهم عن الأحياء ؟ »

« هذا أمر سهل .. الأحياء دائمًا متسرعون .

وبينما يرف رجل من جانبهما وتحت ذراعه قفص صغير يقول الرجل المهذب :

« ها أنت ترى أن هذا من الأحياء بالتأكيد . »

يمر الرجل قريبًا منه للغاية وهو يتكلم حتى إذا كان من الموتى فسوف يسمع الملاحظة بالتأكيد .

يتطلع بيير إلى الوراء وهو مستسلم .

تشعر أن بيير يزاول عملية التمييز بين الأحياء

والأموات ، وأن هذا إنما يمنحه تسلية . يمران بامرأة تمشي أبطأ مما يمشيان ، وجهها كئيب ، ذيل فستانها ضيق. يحملق فيها بيير محاولاً أن يقرر نوعيتها. لا يبدو على المرأة أنها تراه . بيير يتجه نحو الرجل العجوز وعيناه تتساءلان وهو يومئ ناحية المرأة .

يهز الرجل رأسه :

« كلاً ، كلاً ! إنها من الأحياء . »

يُقطِّب بيير قليلاً علامة على الضيق ، بينما تُبْطئ المرأة خطاها لأن أحد الأحياء يتجه ناحيتها في عجلة.

يلاحظ العجوز تضايُق بيير :

« لا تنزعج ، ستتعلم سريعًا . »

يستمران في تسكعهما لكن سرعان ما يتوقفان لأن جماعة أخرى تأتي من الجهة المقابلة .

على رأس الجماعة رجل له مظهر المعتوه المنحط . والتابعون وراءه يراقبون بدهشة حركاته الخفيفة .

لم يستطع بيير أن يكبح صيحة الدهشة :

« بحق الشيطان ما هذا ، سِرّك ؟ »

لم يكد يلفظ هذه الكلمات غير المهذبة ، حتى يحرِّجُه النبلاء بنظرات الغضب والازدراء .

يشرح الرجل العجوز بحصافة رأي :

« هذه عائلة نبيلة من أعرق النبلاء . وهؤلاء الرجال يتبعون حفيدهم في كل مكان . »

« حسنًا ، يجب أن أقول بأنه ليس فيه ما يثير . يجب ألا يفخروا به . لماذا يتبعونه ؟ »

يهز الرجل العجوز كتفيه مستسلمًا :

« إنهم ينتظرون موته ليستطيعوا أن يقولوا له رأيهم فيه . . »

أثناء ذلك يشعل النبيل سيجارته ووجهه يتبدّى فيه الحمق ، يتبعه كل أقاربه الذين ينظرون إليه نظرة انتباه ورثاء .

يستمر بيير والرجل العجوز في تسكعهما . يعبران الطريق .

تقف سيارة عند مكان أنيق ، يمر الرجل العجوز أمام رفرف السيارة دون أن يُبّدي أدنى اهتمام ؛ بينما يقفز بيير جانبًا .

ينظر الرجل العجوز إليه وهو يبتسم مغضيًا :

« ستتعود على هذا .. ستتعود على هذا .. »

يفهم بيير ، وقد خُفّفَ عنه ، يبتسم بدوره ، يتسكعان ثانية .

(الغرفة في مؤخرة المحل)

إيف جالسة على كرسي أمام المكتب . انفعال بالاضطراب مرتسم على وجهها . تسأل بعصبية :

« هل أنت متأكدة ؟ هل انت متأكدة ؟ »

السيدة المسنة التي يتناقض هدوؤها الرزين مع عصبية إيف تجيب بوقار :

« أنا لا أخطئ أبدًا فهذه حرفتي .. »

تصر إيف :

« هل سممني ؟ »

« أجل يا سيدتي . ؟

« لكن لماذا ، لماذا ؟ »

تجيب السيدة المسنة : « لقد كنت العقبة الوحيدة في طريقه . لقد استولى على بائنتك ، وهو الآن يريد بائنة أختك . »

تفرقع إيف أصابعها في حركة عصبية وتغمغم في يأس :

« وهل تحبه لوسيت ؟ »

« لكِ عطفي .. لكن هل لي أن أطمع في توقيعك ؟ »

تنهض إيف آليًا ، تنحني على الدفتر وتوقع .

تقول السيدة : «رائع . الآن أنت ميتة بصفة رسمية.»

تتردد إيف ثم تسأل :

« لكن اين يجب ان اذهب الآن ؟ »

« أينما تحبين . الموتى أحرار . »

تبدأ إيف في مغادرة الحجرة آليًا كما فعل بيير من قبل من نفس الباب الذي دخلت منه ، لكن السيدة المسنة تعترضها :

« كلاً .. من هنا .. »

تغادر إيف الحجرة وهي في تفكير عميق .

(شارع)

تمشي إيف خلال الشارع حزينة ، رأسها منحن يداها في جيبَيْ ثوبها .

لا تعبأ بالمارة ، ولا تهتم حتى بالتطلع إليهم ، لا الأحياء منهم ولا الأموات . فجأة تسمع صوت حاوٍ :

« أيها السيدات والسادة ، بضعة فرنكات قليلة ، ويقدم لكم « السيد » عرضًا ممتازًا .. سيرفع بذراع واحدة ثقلاً وزنه مائتان وخمسون رطلاً . أقول مائتان وخمسون رطلاً »

يلتف حشد من الناس حول الرجل القوي الجذّاب ، وهو رجل ضخم في رداء وردي ، وشارب مزيف ، وشعر محلوق من المنتصف وخصلتين على جانبَيّ رأسه . يقف مُظهرًا نفسه في وضع تمثيلي . يقدمه الحاوي إلى الجمهور .

تلتف إيف حول الحشد ، ملقية نظرة سريعة على المنظر دون أن تتوقف .

يقف بيير والرجل العجوز يراقبان في آخر المتفرجين الفضوليين .

قال العجوز : «تعال ، هناك ما هو أفضل لتراه .. لدينا نادٍ ..»

أجاب بيير متضايقًا : « لحظة واحدة ، فأنا أحب دائمًا الرجال الأقوياء . . »

تلتف إيف حول الجمهور الفاغر فاه دهشة ، تتوقف آليًا وهي تنظر .

لا يزال الحاوي يحاول أن يستثير سخاء الجمهور :

« تعالوا الآن أيتها السيدات والسادة ، أنتم لن ترضوا أن يقال إنه بسبب قلة التشجيع سوف يختفي هذا الفن القديم . اثنا عشر فرنكًا أخرى وسوف يبدأ «السيد» . اثنا عشر فرنكًا .. فرنك من على يميني ؟

وفرنك من على يساري ؟ أشكرك ، أشكرك ، بأحد عشر فرنكًا أخرى ونبدأ ! »

فجأة يسترعي انتباه إيف فتاة صغيرة في حوالي الثانية عشرة تحمل سلة، تبرز منها علبة مليئة باللبن، وحقيبة يد لا شك أنها تضع فيها النقود . لابد أنها أرسلت لتتسوق ، لكن توقفت لحظة لتشاهد الحاوي .

لم تلحظ أن فتى صلب العود في حوالي السابعة عشرة قد تسلل خلفها وكان على وشك خطف شيء من سلتها .

بعد أن يلتفت حوله في إهمال ، يمد يده في حذر ويخطف حقيبة اليد .

رأت إيف الحركة ، تصرخ :

« انظري أيتها الشابة ، إنه يسرق كيسك . »

بيير على الجانب الآخر للفتى ، يلتفت برأسه بسرعة ناحية إيف ، ثم تقع عيناه على الفتاة الصغيرة .

تلاحظ إيف نظرة بيير ثم تخاطبه :

« أوقفه . لماذا لا توقفه ؟ »

الرجل العجوز ، وله نظرة العارف بالأمور . يلكز بيير. اللص الصغير كانت لديه فسحة من الوقت ليهرب .. إيف تشير وتصيح :

« لص ! لص ! »

يرقب بيير السيدة الصغيرة مسرورًا للغاية .

يُبْدي الرجل العجوز ملاحظة :

« هذه السيدة أيضًا ميت جديد . . »

يقول بيير في شبه حماقة : « نعم ، هي لم تفهم بعد .»

تلتفت إيف ناحية بيير :

« لكن افعل شيئًا ! ماذا هناك لتضحك عليه ؟ لماذا لا توقفه ؟ »

يتبادل بيير والرجل العجوز النظرات ويبدي بيير ملاحظة :

« أنت لم تعتادي على الأوضاع بعد . . »

تصيح إيف مندهشة : « ماذا تقصد بأني لم أتعود بعد ؟ »

تنقل إيف نظرها بينهما ، وفجأة تفهم . تبدو مضطربة مثبطة الهمة .

تغمغم : « آه ، نعم .. هذا حقيقي .. »

يظل بيير وإيف ينظران إلى بعضهما البعض لحظة في اهتمام . ثم تستدير أعينهما إلى الفتاة الصغيرة

التي تبحث في ذعر في سلتها بقلق متزايد ، بل تبحث حتى في علبة اللبن . ثم تنحني لتبحث على الأرض بين أرجل المتفرجين . وفجأة تقف وفي وجهها نظرة مذعورة شاحبة ، وشفتاها ترتعدان ، الدموع في عينيها ، وقد كَبَّرَها الخوف .

إيف وبيير بل وحتى الرجل العجوز ذو الحساسية الباردة للغاية يراقبون الطفلة صامتين ومظهرهم مضطرب .

تبتعد الفتاة حاملة السلة وعلبة اللبن .

على بعد خطوات تلقي بنفسها على مقعد حجري وتضع رأسها بين ذراعيها وهي تنتحب يائسة ، ولها مظهر يثير الشفقة .

غمغم بيير : « يا للصغيرة المسكينة ، سوف ينالها العقاب عندما تصل إلى البيت . »

ثم يضيف لأول مرة بمرارة ملحوظة :

« هكذا الأمر ! »

تقول إيف مهتاجة :

« هكذا الأمر ! هل هذا كل ما لديك ؟ »

يحاول بيير أن يخفي عاطفته خلف قساوة مُتبدِّية .

« ماذا تريدين مني أن أفعل ؟ »

تهز إيف كتفيها :

« لا شيء . »

لكنها تعيد النظر إلى الفتاة ثانية .

تقول : « هذا فظيع . فظيع . الا تستطيع أن تعمل شيئًا ؟ »

تديم إيف وبيير النظر إلى بعضهما البعض ثانية . ثم يلتفت بيير فجأة كما لو كان يريد أن يتخلص من فكرة طارئة .

اقترح الرجل العجوز : « لنمض . »

يذهب بيير مع مرشده الذي يبتهج حقًا لهذا التحول.

بالنسبة لإيف ، فإنها تبدأ المسير ، راسها مُتدلٍّ ، يداها في جيبَيّ ثوبها . تمر أمام الصغيرة دون أن تتطلع إليها ..

(باب قصر الحاكم)

يصل بيير والرجل العجوز أمام بوابة قصر الحاكم الأثرية .

هناك جنديان ضخمان واقفان لا يلتفتان في انتباه ، جامدان كالتمثالين يحرسان المدخل .

يقف بيير فجأة. الرجل العجوز الذي يجد صعوبة في المشي بحذائه، يتوقف بدوره ، لكن بنيّة مواصلة السير .

يقيس بيير الباب الضخم بعينيه ، يُبّدي ملاحظة مبتهجًا :

« الأمر هكذا . . »

« ماذا قلت ؟ »

« منذ أربع سنوات وأنا أريد أن ألقي نظرة فاحصة عليه . . »

قال الرجل العجوز مندهشًا : « الحاكم ؟ كنت تريد أن ترى الحاكم ؟ يا للفكرة المضحكة .. هو مغتصب للسلطة تعس ليست لديه أية عظمة . . »

أجاب بيير مبتهجًا : « إنه يثيرني . . »

يبدي الرجل العجوز حركة عدم فهم مؤدبة ويشير إلى الباب :

« في هذه الحالة يا صديقي ، تصرف كما لو كنت في بيتك . . »

يتسلق بيير الدرجات طيرانًا دون تردد ، يتوقف لحظة عندما يصبح قرب الجنديين ، يقول قرب أنف أحدهما وهو ينحني ناحيته :

« آه لو تعرف من هذا الذي يمر ! »

(دهليز في القصر وغرفة نوم الحاكم)

يمر بيير والرجل العجوز في الممر الواسع حيث يتناثر هنا وهناك الموتى، وهم يرتدون أزياء من عصور مختلفة . خادم في حُلّة خاصة يتجه ناحيتهما ويدعانه يمر بينهما .

يبدو أن بيير مسرور للغاية بكل ما يراه ؛ بينما الرجل العجوز ينظر بعين المتضايق .

يصلان إلى باب واسع يحرسه جنديان واقفان منتبهين .

في هذه اللحظة يظهر خادم آخر يحمل زوجين ثمينين من الأحذية السوداء .

أحد الجنديين ، بحركة آلية فيها احتفال ، يفتح الباب للخادم الذي يدخل في وقار .

بيير ، واقفًا قرب الباب ، يمسك كُمَّ الرجل العجوز ويهمس له :

« تعال ! »

يدخلان في تسرع في أعقاب الخادم ، ويغلق الجندي الباب وراءهم .

يظل بيير والرجل العجوز واقفين لحظة ، ثم يمشيان ببطء تجاه منتصف الحجرة .

هي شقة هائلة وفخمة فيها سرير كبير في طرفها .
الحجرة مؤثثة بمنضدة من الآبنوس ضخمة ، أرائك
يغوص المرء فيها وهي على الطراز الحديث ، ستائر
وردية مشجرة ، سجادات.

الحاكم جالس عند طرف السرير . مازال في قميصه ذى
الأكمام وهو يرتدى السروال والجورب . له شارب ضخم
ويدخن سيجارة غالية .

هو رجل ضخم ذو جرم كبير ووجه أنيق كأنه وجه
ممثل سينمائي .هو وجه قاسٍ لكنه مُهِيب .
يساعده الخادم في خنوع على ارتداء حذائه .

هناك دستة أو يزيد من الأشخاص الميتين في
الحجرة ، بينهم امرأة ؛ بعضهم جالس على الأرائك
أو على السرير أو حتى على الأرض . آخرون
مستندون إلى الجدران أو إلى الأثاث .

هناك جندي يرتدي زيًا يشبه زي الحاكم ؛ وهناك
فارس من العصور الوسطى ؛ وجندي من الطبقة
الثانية ؛ ورجل عجوز ذو شارب أبيض مستند إلى
عصًا ، وضابط مسلح من القرن التاسع عشر في زي
الفرسان عليه صورة النسر وسروال من الجلد
الضيق، ثلاثة نبلاء يرتدون السراويل المخططة ،
وأخيرًا امرأة ترتدي زيًا لطيفًا .

كل واحد يراقب الحاكم وله مظهر ساخر أو خبيث .

يهز بيير رأسه مسرورًا :

يقول مبتهجًا : « حسنًا ، لست الوحيد . . »

تجـذب هذه الكلمـات انتبـاه الموتى الذين يديرون رؤوسهم في فتور ناحية القادمين .

يشرح رفيق بيير الأمر :

« هذا المتعصب للسلطة لديه زوار دائمًا . . »

« أصدقاء ؟ »

يهز الموتى أكتافهم ويستديرون في احتقار ، ويتسرع العجوز في تصويب رأي بيير :

« أصدقاء قدماء . . »

أثناء ذلك ينهض الحاكم وكان قد ارتدى حذاءه ، ويتجه إلى مرآة طويلة حيث يرى نفسه فيها من أخمص القدم إلى الرأس .

ولكي يصل الحاكم إلى المرآة ، يمر قرب بيير الذي يلتفت حوله فاحصًا إياه كما لو كان حشرة .. قريبًا منه ، يقف الجندي من الطبقة الثانية عند المنضدة ، يداه متشابكتان ، مُقطبًا متأملاً قائده السابق .

ينظر الحاكم إلى نفسه في انبساط ويبدأ يتمرن على إلقاء خطبه أمام المرآة ، يتمرن على الانحناء ، ويتمرن

على اتخاذ مظهر التواضع . حركاته المسرحية هي حركات خطيب ، لكنها حركات سخيفة تمامًا .

يحرك الخادم السترة في ثبات ويقف على مبعدة أقدام قليلة .

بعد لحظة قصيرة يشير الحاكم لخادمه الذي يقترب منه ويمسك المعطف .

يهز بيير رأسه ويلتفت إلى الجندي ويقول في ابتهاج :

« هل يمكن أن تفعل هذا ؟ »

يومئ الجندي برأسه دون أن يرفع عينيه عن الحاكم .

قال بيير ساخراً : « رئيسك هذا جميل »

أجاب الجندي : « أنت على حق . لو كنت أعرف هذا من قبل لما كنت هزيلاً هكذا . »

بعد أن يرتدي الحاكم المعطف ، يخلعه ثانية وهو يسأل الخادم:

« أتظن أنني أبدو رائعًا من غير معطف ؟ »

« بالطبع يا صاحب السعادة ؛ لكنك تبدو بالمعطف أبهى . »

يرتدي الحاكم المعطف ثانية ويتجه ناحية المنضدة التي يستند إليها فارس العصور الوسطى . يتجه الحاكم إلى المنضدة وهو يزرر معطفه . يتبعه بيير .

قبل أن يتناول الحاكم حزام سيفه ، يرمي سيجارته في وعاء رائع من الفضة على المنضدة . يصيح الفارس صيحة حادة :

يزمجر : « في وعاء حلاقتي ! »

يلتفت بيير إليه في فضول .

« هل هي ملكك ؟ »

« أنا في قصري هنا . لقد كنت ملك هذه البلاد منذ أربعمائة سنة . وأؤكد لك أنني في ذاك الوقت ، كانت أشيائي مقدسة . »

يبتسم بيير ويشير ناحية الحاكم :

« عزاءً يا سيدي . هو لن يمكث هنا كثيرًا . »

تلتفت المرأة الوحيدة بين الموتى مندهشة .

تسأل : « ماذا تعني ؟ »

« كل شيء معد غدًا . »

يتجه إليه الجندي في فضول .

« ما هذا الذي يُعد غدًا ؟ »

« الثورة . »

تسأل المرأة : « هل أنت واثق ؟ »

« حــــسنًا ، إنني أنا الذي نظم كل شيء . هل هذا يثيرك ؟ »

تشير المرأة إلى الحاكم الذي يعلق شملة حول رقبته ويضع نجمة فوق صدره . تقول المرأة بانفعال :

« لقد مت منذ ثلاث سنوات بسببه ! ومن ساعتها لم أتركه ثانية. أريد أن أراه مشنوقًا . »

الجندي الذي كان يتابع الحديث يتجه ناحيتهما .

يقول : « لا تكوني هكذا ، فهذه الأمور لا تتجح دائمًا .. هو أشد خبثًا مما يبدو كما لعلك تعرفين .. »

تهز المرأة الصغيرة كتفيها :

« هذا لأنك لم تجرب الأمر .. »

في هذه الأثناء يتجمع الموتى جميعهم حول بيير .

يتابع الجندي :

« هل تتذكرون مؤامرة الصلبان السوداء ؟ لقد كانت مؤامرتي لم أترك شيئًا للصُّدَف . وقد نالنا .. »

يعترف بيير : « وقد نالني أيضًا ، لكن متأخرًا . لكنه لن ينال الآخرين . »

« أنت واثق من نفسك للغاية . »

يخاطب بيير رئيس الجند هذا ويأتي الموتى يتحلقون حوله .

« منذ ثلاث سنوات ونحن نعد لها ، أنا والآخـــرون . لا يمكن أن تفشل . »

الضـــابط الذي في زي الفـرســان والذي يجلس على مقعد قرب المنضدة يبدي كلمة هُزْء .

« أنتم أيها الموتى الصغار تخدعون أنفسكم دائمًا . »

بينما يتكلم يقترب الخادم من ورائه ، وكما لو لم يكن هناك يرفع الكرسي الذي يجلس عليــه الضــابط ويحمله بعيدًا . يظهر الضابط جالسًا في الهواء ، بينما يجلس الحاكم على الكرسي الذي يضعه الخادم من تحته . يخاطب بيير كل الموتى المجتمعين والذين ينظرون إليه نظرة شك :

« أنت تبدو متشائمًا . »

زمجر الجندي : « متشائم ؟ لقد خدمت هذا الرجل عدة سنين .. »

يقوم الخادم بواجباته الاعتيادية ، فينزع شارب الحاكم المستعار .

قال الجندي : « لقد آمنت به . مت من أجله . وأنا الآن اجد هذا القرد منفوخًا هو وزوجته . إن خُطَبه إنما يدبّجها سكرتير، وعندما يتمرن عليها أمام المرآة يضحك السكرتير والمرآة عليه كما لو كانت الخطبة

نكتة ضخمة . هل تعتقد أن من المضحك أن تجد نفسك مُستغَلاً طيلة حياتك ؟ »

يبدأ بيير أكلة الصباح . يأكل ويشرب كالخنزير لكن في حركات مهذبة .

يتابع رئيس الجند بدوره كلامه :

« متشائم ؟ عندما جئت هنا عرفت أن الذي خانني هو أعز أصدقائي وهو اليوم وزير العدل . . »

يحاول بيير أن يتكلم ولكن يُقاطع . تنهض المرأة وتقترب من الحاكم وتشير عليه :

« متشائم ؟ انظر إليه فأنا أعرفه عندما كان لا شيء، عندما كان نفاية ، لقد ساعدته . عملت من أجله . لقد بعت نفسي حتى أخلصه من السجن . هو يدين بمنصبه هذا لي . لقد صنعته . . »

قال بيير : « ثم ماذا بعد هذا ؟ »

« لقد مت في حادثة صيد ، وكان هو حادثة الصيد .»

يتابع الحاكم تغذية نفسه ، منظفًا أسنانه برقة بظفره.

بيير الذي لم يكن قادرًا على أن يذكر كلمة ، ينفجر فجأة غاضبًا ناظرًا إلى الموتى بحزم :

« حسنًا ؟ ثم مـاذا ؟ مـاذا يدل عليه كل هذا ؟ هو أن حياتك كانت فشلاً . »

ثم يجيب على كل الموتى معًا :

«أنتم أيضًا بالطبع كانت حياتكم مجموعة من الفشل. حياة كل إنسان هي فشل .»

الرجل العجوز الذي كان صامتًا منذ أن دخل الحجرة يبدأ الآن الكلام ، وصوته يطغى على الضجة

« حياة المرء هي دائمًا فشل مثل موته تمامًا .

صاح بيير : « نعم ، عندما يموت في الحال أيضًا . »

« هو يموت . في الحال – أو متأخرًا جدًا .

يتضاعف ضحك بقية الموتى وسخريتهم عند هذا الكلام. لكن بيير الواقف وسطهم يتحداهم .

«لقد نظمت الثورة ضد هذا الأراجوز . ستنفجر غدًا. لم تكن حياتي فشلاً ، أنا سعيد ، أنا سعيد ولست مثلكم . أنا لا أريد أن أكون واحدًا منكم .. »

يتجه ناحية الباب ، ثم يغير رأيه ، يتراجع وسط الموتى المستهزئين ويضيف :

« أنتم لستم موتى فحسب ، لكن روحكم المعنوية مخيفة . »

يتجه ناحية الباب ثانية مهتاجًا يتبعه الرجل العجور .

يبدأ الموتى جميعًا وراءه الحديث في الحال .

« من الأفضل له لو كان سعيدًا .. سينتهي بأن يفهم .. كلهم سواء ! هو سخيف ، هذا كل ما هنالك ! سترون ما إذا كان ينجح أم لا .. لقد قال إنه سعيد ، حسنًا ، هو محظوظ ! »

في وسط هذه الضجة ، ترتفع طرقة عالية على الباب

يصيح الحاكم وفمه ممتلئ :

« من هذا ؟ »

في اللحظة التي يصل فيها بيير ورفيقه إلى الباب ، يفتح ليدخل الحاجب في زى عسكرى حيث يحيّي الحاكم ويعلن

« رئيس الشرطة يلتمس التحدث إليك . وهو يرجوك أن تنظر للموضوع على أنه أمر مهم وخطير للغاية . »

« دعه يدخل . »

يحيّي الحاجب ويخرج

كان بيير ورفيقه العجوز على وشك أن يتبعاه . لكن بيير يقف فجأة متسمرًا في المدخل : يرى رئيس البوليس يتحدث مع لوسيان ديرجيو . من الواضح أنه يعنّفه .

لوسيان بين جنديين يبدو مضطربًا وخائفًا .

ينظر بيير إلى لوسيان في ذهول .

« يا لله ! هذا هو الصبي الذي اغتالني ! »

ثم فجأة يهدد لوسيان بقبضته المطبقة ويصيح :

« أيها الماهر الصغير ! »

لكن الرجل العجوز ينصحه :

« لماذا تتعب نفسك ؟ »

« أنا أعرف .. لكنني أفضل الجحيم مقابل أن أصفعه على وجهه ! »

يتقدم رئيس الشرطة وينحنى أمام الحاكم . الموتى اللذين كانوا قد ابتعدوا يرجعون ويلتفون حول المنضدة .

سأل الحاكم : « ما هذا يا لاندريو ؟ »

لاندريو متحيّر للغاية .

« حادثة محزنة يا صاحب السعادة .. أنا .. أنا . . »

« حسنًا ، استمر ، أنا مُصغٍ إليك . . »

«واحد من مخبرينا قد أخطأ .. لقد قتل بيير دومين.»

الحاكم الذي كان يشرب ، يُغصّ صوته :

« بيير دومين ميت ! وتسمي هذا حادثة ؟ »

يضرب المنضدة بيده :

« أتدري ما سيحدث الآن يا لاندريو ؟ .. من غير بيير دومين لا تقوم الثورة . لن تجرؤ المنظمة على التحرك من غير قائدها . . »

يتغير وجه بيير. يبدو على الرجل العجوز أنه قد فهم، وينظر إلى بيير ساخرًا من زاوية عينه .

أجاب لاندريو : « لقد طلبت منه أن يتبع دومين . يا صاحب السعادة .. كان قصده حسنًا .. »

يزداد بيير اقترابًا ، مزيحًا الموتى الآخرين بمرفقيه .

يصغي وعلى وجهه تعبير مكبوح .

الحاكم يصرخ في وجه لاندريو المسكين :

« لقد أردت أن يقوموا بثورتهم . ومع كل معلوماتنا التي تجمعت لدينا ، كانت ستكون هناك فرصة رائعة. أن تُصَفّي الزعماء في ضربة واحدة ، وينسحق الحزب لعشرة أعوام . »

بيير مصعوق . الرجل العجوز يسأله وله مظهر بريء :

« أنت لا تبدو على ما يرام ؟ »

لا يجيب بيير .

ينهض الموتى من خدرهم ، يتابعون النقاش بشغف تام .

قليل منهم قد فهموا وينقلون النظرات من بيير إلى الحاكم بابتسامات العارفين .

يقول لاندريو :

« لا تزال هناك فرصة يا صاحب السعادة . »

« آمل هذا من أجلك يا لاندريو . إذا لم يتحرك الحزب غدًا ، فستكون أنت المسؤول عن الحماس المتناهي لجاسوسك . هذا كل ما هناك ! »

رئيس البوليس بعد تردد غير قادر على أن يضيف كلمة ، يتجه إلى الباب ، بينما الحاكم مضطرب ، يقول لنفسه :

« عمل ثلاث سنوات ! لم يسمع بمثل هذا البوليس ! »

الموتى ، وقد رأوا انفعال بيير ، يبدءون الضحك .

عندما يصل لاندريو إلى الباب ، يصيح الحاكم خلفه للمرة الأخيرة :

« سيكلفك الأمر وظيفتك يا لاندريو ! »

يستدير رئيس البوليس وينحني .

يقول بيير وسط الموتى الذين لا يزالون يتهكمون :

« أيجعلكم تضحكون ؟ وكل شركائي سيُذبحون ! »

يقـول رئيس الجند سـاخـرًا : « ها قـد بدات تصـبح متشائمًا ! »

يصيح بيير : « عليك اللعنة ! »

ثم يتركهم ويستغل فتح لاندريو للباب ويذهب بسرعة يتبعه الرجل العجوز .

(شارع المتآمرين)

عامل صغير يندفع إلى باب البيت الذي عقد فيه بيير دومين الاجتماع السري والذي تقررت فيه تفاصيل التمرد .

بعد أن يلقي الرجل الصغير نظرة سريعة حوله ، يدخل .

(سلم البناية)

يتوقف العامل الصغير أمام باب على بسطة سُلَّم قذرة .

يقف وراءه بيير والرجل العجوز ينتظران .

يطرق العامل الباب ويصيح في الوقت نفسه :

« لقد أطلقوا النار على دومين . »

خطوات سريعة تُسمع مقتربة ، لم يفتح الباب .

يبدو ديكسون :

« ماذا تقول ؟ »

يكرر الآخر : « يبدو أنهم أطلقوا النار على دومين .. »

يأتي صوت لانجوا من داخل الحجرة :

« هل أنت متأكد ؟ »

« أجل . لقد أخبرني باولو . »

يتطلع بيير إلى وجوه زملائه القدامى الواحد بعد الآخر .

زمجر ديكسون : « أولاء الزنى ! اذهب وتأكد . وعندما تتبين الأمور عُد إلى هنا . »

يقول العامل وهو يندفع على السلم : « وهو كذلك . »

(حجرة المتآمرين)

يدفع ديكسون الباب بحذائه دون أن يغلقه تماما . يلتفت إلى الثلاثة الآخرين الذين تجمعوا حوله . يظلون واقفين لحظة .

خلال فتحة الباب يبدو وجه بيير ، يصغي ، وجهه كئيب للغاية .

وأخيرًا يقطع لانجوا الصمت القاتل :

« إذا كان دومين قد قُتل ، فهل نستمر في اللعبة ؟ »

أجـاب ديكسـون : « أكـثـر مما كنا عليـه من قـبل . وسيـدفـعـون من أجل هذا أيضًـا . مـاذا لديكم بصـدد هذا الشأن أيها الرفاق ؟ »

يوافق بولين ورينودل .

« موافقون . »

« أشد تصميمًا عن ذي قبل . »

يقـول ديكسـون : « تمامًـا . والآن إلى العـمل . ليس هناك وقت لنضيعه ... »

يظل بيير ينظر من فتحة الباب محاولاً فتحه . يدفعه بكل قواه . لا يتحرك الباب .

يلتفت ديكسون إلى بولين الذي لا يزال واقفًا .

« دعنا نستنشق شيئًا من الهواء ، نحن نختنق هنا . »

يفتح بولين النافذة ، وبسبب التيار الفجائى ينغلق الباب .

(السلم)

يقف بيير عند الباب المغلق . يطرق عليه دون أن يكون هناك أى صوت ، صائحًا خلال الباب :

« هذا فخ أيها الرجال . أوقفوا كل شيء . هذا فخ . »

كل الإجـابة كـانت صـوت أقـدام ، ثم يُدار المفـتـاح في القفل .

ينظر بيير إلي الرجل العجوز الذى يشير إليه ألا يُصِرّ .

يعرف بيير عقم محاولاته ويعاني منها لأول مرة .

يستدير ويقول في يأس تام :

« غدًا سيكون الجميع موتى أو مقبوضًا عليهم . وهذا بسبب غلطتي . »

يهز العجوز كتفيه ويقول : « وماذا يمكنك أن تفعل ؟ »

في غضب العاجز ، يخبط الآن بقبضتيه على درابزين الدَّرَج وهي خبطات لا تحدث صوتًا :

« العالم كله يفشل لكن ليس أنا ، هل تسمعون ؟ ليس أنا »

(عند آل شارليه)

في حجرة النوم والمصاريع شبه مغلقة . جسد إيف على السرير.

لوسيت راكعة تمسك يد أختها ، تمسح وجنتها بها وتبكي .

يقف أندريه دون حراك وراء أخت زوجته .

إيف مستندة إلى الجدار ، يداها مطبقتان ، وهي ترقب في توتر المشهد ؛ وفي عينيها نظرة متصلبة .

ترفع لوسيت رأسها ، وتقبِّل بحنُوّ رأس أختها ، تئن في يأس :

« إيف ، إيف يا عزيزتي . »

ينحني أندريه على لوسيت ، يمسكها من كتفيها برقة ويضطرها أن تنهض :

« تعالي يا لوسيت .. تعالي .. »

تسمح الفتاة لنفسها أن تتبعه .

يقودها أندريه وذراعه حول خصرها .

تترك لرأسها أن يستقر على كتف أندريه .

يقودها الأخير إلى الأريكة ويُجلسها .

يمران أمام إيف التي تتبعهما مبطئة ، وعيناها المتصلبتان المضطربتان لا تفارقهما . تقف وراء الأريكة وتنتظر .

وفجأة تسمع صوت رجل يصيح :

« هالو ! »

تلتفت إيف فجأة .

يضيء وجهها في الحال مرة واحدة ، وتغمغم :

« أبي ! »

يبتسم والد إيف ، يحشر رأسه خلال الباب نصف المفتوح . ينزلق خلال الفتحة الضيقة ويتجه إلى إيف.

« سمعت أنك لحقت بنا . وأنا جئت لأرحب بك . »

هو رجل عجوز ، لكن لا يزال مرحًا ، وله مظهر يتميز بالانبساط . ويرتدي زي المتبغدد : فالأزرار صدف ويمثل نمط رجل المنتديات الذي عفا عليه الزمن ، وتبدو عليه الخفة والاستهتار .

يتجه إلى إيف التي تكون متأثرة ، والتي لم تتحرك وتقف تمد له ذراعيها ثم تلقي بنفسها بين ذراعيه .

« أنا سعيدة للغاية يا أبي ! كان هذا منذ وقت طويل..»

يقبّلها برقة على جبينها ويدفعها برقة بيديه . إيف ترتدُّ إلى الوراء وتُبقي يديه بين يديها، وتنظر إليه في عاطفة . ثم تتحول هذه العاطفة إلى لوسيت وتقول فجأة :

« بابا .. هذه صغيرتنا لوسيت .. يجب أن تعرف ما سيحدث هنا . »

ينظر إليها أبوها مضطربًا قليلاً بل وحتى متضايقًا . يرفض أن ينظر إلى ما تشير إليه إيف .

« هل تظنين هذا ضروريًا ؟ لديَّ فسحة قليلة من الوقت يا طفلتي . »

تضطره إيف إلى أن يدير رأسه ناحية الأريكة .

« انظر ! »

لوسيت التي لا يزال رأسها على كتف أندريه ، تبكي في انسياب ، يمسكها بإحكام بين ذراعيه .

ينظر الأب إليهما ، لكن يبدو عليه التحيّر الواضح ، وكان يفضل لو كان في أي مكان آخر سوى هذا المكان.

تسأل إيف : « هل رأيت ؟ »

يقول أندريه : « لا تصيحي يا لوسيت . . »

تقول إيف لأبيها دون أن ترفع نظرها عن الاثنين : «أنصت .. »

يتابع أندريه : « لست وحيدة . أنت تعرفين هذا ، أليس كذلك ، سأحبك كما أحببتك إيف . سأحبك في حنوّ يا لوسيت . أنت ساحرة للغاية ، صغيرة جدًا .. »

ترفع لوسيت عينيها إلى أندريه الذي يبتسم لها ، ثم في ثقة عمياء ثانية تترك رأسها يسقط على كتفه . تظهر إيف حركة شفقة وحنو على أختها ، تضع يدها على شعرها وعلى صدغها .

في اللحظة نفسها ، ينحني أندريه ويقبل لوسيت في جبينها .

تسحب إيف يدها في الحال مشمئزة :

« أبي ! »

لكن أباها يبدي حركة المتضايق .

« آه ، حسنًا يا طفلتي .. آه ، حسنًا ! »

في الوقت نفسه يخطو خطوات قليلة كما لو كان يريد أن يبتعد عن هذا المنظر الأليم .

« لقد سممني يا أبي لأنني كنت في طريقه .. »

أبوها الذي كان قد خطا خطوات قليلة أخرى ، يلوح بيديه فجأة :

« لقد رأيته وهو يفعلها .. وهذا ليس عملاً جميلاً .. ليس جميلاً على الإطلاق .. »

تنظر إيف إلى أبيها متضايقة من عدم اكتراثه :

« لكنها ابنتك يا أبي . سيجعلها تقاسي . »

الآن إيف وأبوها واقفان ، الواحد عند ناحية من الأريكة والآخر في الناحية الأخرى ولوسيت وأندريه بينهما .

« تأكدي أن هذا شيء يدعو إلى الحزن .. »

« أهذا كل ما لديك لتقوله ؟ »

الأب وهو حانق ينظر إلى إيف وهو يجيب :

« ماذا تتوقعين مني أن أقوله ؟ أنا أعرف ما يجب أن أجده هنا . أنا أعرف أنني لا يمكن أن أفعل شيئًا . لماذا لا تدعينني أذهب ؟ »

ثم يتحول غضبه إلى أندريه :

« نحن نراك يا أندريه ونسمعك . سيكون عليك أن تجيب على هذا يومًا ما . يا قاتل ! نحن نعرف كل شيء ، هل تسمع ؟ .. لوسيت .. بحق الله يا لوسيت أَنصتي إليّ أنا .. »

لا يزال رأس لوسيت على كتف أندريه ، تبتسم خلال دموعها وهي تزداد التصاقًا به ، تغمغم :

« أنت شفيقٌ للغاية يا أندريه .. »

يتوقف الأب في منتصف عبارته . ثم ينجاب غضبه ، ثم يفرد ذراعيه في تسليم حزين . يخاطب إيف :

« أرأيتِ ماذا جعلتني أفعل يا ابنتي ؟ أنا سخيف . والآن .. أفضل لي أن أذهب .. »

يتجه ناحية الباب لكن إيف تجري وراءه .

« لقد كانت لوسيت دائمًا معبودتك . »

« سرعان ما ينسى المرء الأحياء . سترين . عندما كنتِ مخطوبة لم أكن أتحمل أن أراك مع هذا الشرير،

لقد قلت لكِ هذا مرارًا من قبل . لكنك لم تصغي إليّ، ظللت تبتسمين له ، تمامًا مثلما تفعل لوسيت..»

يستمر في الاتجاه ناحية الباب :

« حسنًا ، وداعًا يا طفلتي . أنتِ ستؤخرينني . لديّ لعبة البريدج بعد عشر دقائق . »

تُبْدي إيف دهشتها :

« لعبة البريدج ؟ »

« نعم ، فنحن نراقب لعبة الأحياء . نستطيع أن نرى الأيدي الأربع . هذا مُسلٍّ للغاية . ثم بجانب هذا ، علينا أن نلعب خيرًا منهم إذا أردنا أن نأخذ الورق . »

بينما يتكلمان ، يصلان إلى باب حجرة الاستقبال ، ينظران من الفتحة ثانية .

ينهض أندريه ولوسيت . يمسك أندريه أخت زوجته الشابة وذراعاه خلف وسطها ، ويقودها إلى حجرة أخرى ويفتح الباب .

وهما يغادران الحجرة تتبعهما إيف، لكنها تصل إلى الباب في اللحظة التي يغلقه فيها أندريه .

تستند إيف على الباب وتضربه بكل قواها دون ما صوت .

في الوقت نفسه تصيح في غضب :

« لوسيت ! لوسيت ! »

تتوقف عن قرع الباب وتلتفت إلى أبيها. الأخير على وشك تركها. يعطيها نصيحة أخرى :

« لا تعودي ثانية إلى هنا إذا كان هذا يشقيك . والآن وداعًا يا صغيرتي ، وداعًا . . »

يختفي .

لا تتحرك إيف لحظة . ثم تلقي نظرة أخيرة على الباب المغلق .

(الحجرة في مؤخرة المحل)

المرأة المسنة عند نَضَدها ، وأمامها تقف فتاة صغيرة جدًا مذعورة ترتدي صديرية من الصوف . شعرها المتلبد مبلول ويحيط وجهها في تشوش . تمد المرأة المسنة لها قلمًا ، تقول في لهجة صارمة حانية معًا :

« أقول: شيء جميل أن تغرقي نفسك في مثل سنك ! .. وقعي هنا .. حسنًا ، لقد انتهى الأمر بالنسبة لك!»

ولما كانت البنت لا تزال واقفة أمامها بعيون مطرقة تضيف :

« الخروج من هنا يا طفلتي . . »

تخرج الفتاة .

تهز المرأة المسنة رأسها . تُخْرج ورقة نشاف وتجفف الإمضاء ، تقول وهي تشير إلى الدفتر :

« حسنًا ، هذا هو حصاد اليوم . »

في هذه اللحظة الحازمة يملأ صوت رجل الحجرة ، هو صوت جهوري وعميق :

« كلاًّ يا سيدة بابزات ، كلاًّ ! »

تقفز المرأة المسنة ، ثم يتخذ مظهرها طابع الخاضعة لموظف أعلى يأمرها .

استمر الصوت :

« أرجو أن تبحثي في دفترك في فصل الشكاوي . »

قالت المرأة المسنة بتواضع : « حسنًا يا سيدي . » دون أن ترفع عينيها .

تفتح الدفتر ، تعدل النظارة ، وتفتح الفصل المطلوب . تقرأ في أوله الآتي :

« بيير دومين – إيف شارليه . اجتماع محدد في العاشرة والنصف في منتزه أورانجري . »

تنزع المرأة المسنة نظارتها وتتنهد :

« يا لله ! تعقيدات أخرى . »

(منتزه)

بيير والعجوز يتسكعان جنبًا إلى جنب في أحد ممرات المنتزه .

يخاطب بيير رفيقه مضطربًا :

« إنها ورطة كبيرة أن تكون ميتًا ! »

« نعم .. لكن لها مزاياها الصغيرة .. »

« أنت لست متعبًا ! »

« ما من مسؤوليات . ولا من قلاقل مادية . حرية مطلقة ولهو . »

يقول بيير بمرارة:

« الحاكم مثلاً .. »

« أنت تنظر إلى كل شيء من وجهة نظر الأرض. لكن في النهاية سوف تتعود على الأمر. »

« آمل الا يحدث هذا . فسهولة انقياد الميت هي فوق احتمالي . »

في هذه اللحظة يمران بمركيزة أنيقة من القرن الثامن عشر ، يتبعها الرجل العجوز بعينيه ، يضيف مبتسمًا :

وهكذا ، فإن بعض الموتى جميلات للغاية .. »

بيير لا يجيب .

قليلاً قليلاً ، يتنبه بيير لصوت فلوت ، ترتفع الموسيقى .

وبلمحة واحدة يلاحظ بيير أفَّاقًا أعمى يجلس على منصة عند زاوية ممر .

يضع وعاءه الخشبي أمامه ويعزف بنايه . الأحياء وهم يمرون يضعون قِطعًا في وعائه .

يقف بيير أمام الأعمى وينظر إليه ويقول :

« الأحياء هم الذين يثيرون اهتمامي .. مثلاً ، هذا الشحاذ المسن . هو شيء أثري . أحط الناس . لكنه حي . »

يجلس بيير بهدوء بجوار الأعمى. ينظر إليه مسحورًا. يلمس ذراعه ، ثم كتفه ، يغمغم ببهجة :

« إنه حي ! »

يرفع عينيه إلى مرشده ويسأله :

«ألم يحدث لأي واحد أن يرجع للأرض لينظم أموره؟»

لا يسمع الرجل العجوز لأنه مشغول بمعاكسة المركيزة التي تمر بهما ثانية . هو منفعل ، يعتذر له :

« هل لك أن تعذرني ؟ »

يجيب بيير دون اكتراث :

« بالطبع .. »

يخطو العجوز خطوتين ناحية المركيزة معتقدًا أنه يجب أن يشرح الأمر :

« لن أذهب بعيدًا كما تعرف ، هذا لتمضية الوقت . »

ثم يسرع خلف المركيزة .

يضع بيير ذراعه حول كتف الشحاذ ، ملتصقًا به ، كما لو كان يريد أن يسرق منه بعض دفئه .

« ماذا تفعل هنا ؟ »

ميّز بيير صوت إيف .

يلتفت ويرفع رأسه فجأة .

تتأملة المرأة الشابة وهي تبتسم .

قال بيير : « لا يدعو هذا إلى الضحك . »

« أنت تبدو مضحكًا للغاية وأنت مع هذا الرجل العجوز ! »

يقول بيير كما لو كان يعتذر عن نفسه : « أنت ترين أنه حيّ . »

« يا للعجوز المسكين ! لقد كنت دائمًا أعطيه شيئًا إذ أمرُّ به ، أما الآن .. »

فيما هي تتكلم تجلس بدورها بجانب العجوز وهي تنظر إليه نظرة أسى وحسد .

يتخذ بيير مكانه بجانب الأعمى من الجهة المقابلة . ويجلسان ، إيف وهو ، كل على جانب من الشحاذ .

يقول : « نعم . نحن الذين نحتاج إليه الآن . آه ! إذا كنت أستطيع أن انسل داخل جلده وأعود إلى الأرض لحظة واحدة . . »

« هذا يلائمني أيضًا . . »

« هل هناك ما يقلقك في الحياة الأخرى ؟ »

بينما يتكلمان يبدأ الأعمى يهرش جسمه ببطء أولاً، ثم في حمية ثانية .

لم يلحظ هذا لا بيير ولا إيف لأنهما في اللحظة التي يبدآن التكلم عما يشغلهما، يكفّان عن النظر إلى الرجل العجوز ويتبادلان النظر .

يقول بيير :

« الأمر كذلك معي . ربما كان هذا سخيفًا لكنني لن أنجح في نسيانه . . »

ومرة واحدة دون سبب ظاهر . يبدأ في الضحك .

تسأل : « ما الذي يُضّحكك ؟ »

« كنت أتصورك في جلد الرجل المجوز . »

تهز كتفيها .

« هذا الشحاذ او أي فرد آخر .. »

بيير يقول وهو ينظر إليها :

« ستفقدين نفسك بالمبادلة . »

في هذه اللحظة ، يتوقف الأعمى عن العزف ، ويهرش رجله في عنف :

تنهض إيف وهي تعترف :

« تمامًا افضّل ان أجد شخصًا آخر . »

بيير وهو يبتسم ينهض بدوره، ويمشيان معًا تاركين الشحاذ المجوز .

(بناية للتلاقي في المتنزه)

بناية فخمة للغاية ، هي نوع من المنتدى للتلاقي لها سطح متسع ، تتناثر فيه المناضد والمقاعد ، وهناك تعريشة من النباتات وساحة للرقص . بعض المناضد مشغولة بزبائن من الطبقة الراقية .

الشابة التي تهبط من العربة تلحق بأصدقائها .

هناك جوادان مربوطان في حاجز . راكبة تترجل من فوق صهوة الجواد يساعدها غلام على هذا .

يبدأ بيير وإيف نزهتهما صامتين ، وهما يصلان أمام البناية ، يقترح بيير على رفيقته :

« فلنذهب ونجلس هنا . »

يتجهان إلى المنتدى في اللحظة التي تمر أمامهما الفارسة الأنيقة ، يقول بيير :

« أنا لا أفهم إطلاقًا كيف يرتدي إنسان زيًا كهذا لكي يمتطي صهوة جواد . »

توافق إيف مبتهجة :

« هذا عين ما كنت أود أن أقوله . »

تحيِّي وهي تخاطب الفارسة :

« مادلين ؟ »

يغمغم بيير المضطرب :

« أوَّاه ! هل تعرفينها ؟ أعتذر إليك .. »

تنفي إيف وهي ترد عليه ..

« هناك قرابة بيننا من ناحية زوجي . »

تقترب مادلين من جماعة تتكون من ثلاثة أشخاص ، رجلين وامرأة . ينهض الرجلان وينحنيان مُقبِّلَيْن القادمة الجديدة . يقدم أحدهما مقعدًا احترامًا للفارسة :

« تفضلي يا عزيزتي . »

تجلس الشابة وهي تسند مرفقها إلى المنضدة وتطوح شعرها وهي تقول :

« كانت النزهة في الغابة ساحرة هذا الصباح . »

يتابع بيير المنظر. يسأل :

« هل يقبّل الإنسان يدكِ أنت هكذا ؟ »

« احيانًا »

حينئذ يدعوها بيير إلى الجلوس دون أن يمس مقعدها ، ويقلد حركات الفارس وصوته :

« تفضلي يا عزيزتي . »

تساهم إيف في اللعبة ، فتجلس وهي تخفض ذراعها ولها مظهر المتأثرة .

وبعد تردد قصير يمد ذراعه منحنيًا مقبلاً، ثم يجلس بجانب إيف وهو يقول في صوت طبيعي :

« عبثًا أحاول . »

ترد إيف وهي تقلد صوت الفارسة مثلها :

« لا شيء ، لا شيء يا عزيزي ، فأنت لك طباعك . »

لكن بيير يظل يحدّج الفارسين وله مظهر المكتئب .

يخيم الصمت عليهما .

تقول في النهاية :

« انت لست محدثًا لبقًا . . »

يلتفت بيير نحوها :

يقول : « هذا حقيقي .. ومع هذا أصغي .. »

ومع هذا فقد لاذ بالصمت قليلاً .

يراقبها في رقة متناهية :

« اود ان اقول لكِ كثيرًا من الأشياء ، ومع هذا أشعر بكل شيء يتبخر حالما ابدأ الكلام . مثلاً انا اجدك جميلة ؛ حسنًا ؛ هذا لا يشعرني بأن هذا سيبهجك . هذا يبدو كما لو كنت أعتذر عن شيء ما .. »

تبتسم إيف في حزن طفيف .

مما لا شك فيه أنها كانت على وشك الكلام ، عندما يقترب شخصان .

هما شاب وشابة يترددان أمام منضدة ليست مشغولة.

يسأل الشاب :

« هنا ؟ »

« كما تشاء . »

« نجلس متقاربين أم تجلسين بجانبي ؟ »

تقرر الشابة في حزم بعد تردد قصير :

« بجانبك .. »

يجلسان أمام المنضدة نفسها التي يشغلها بيير وإيف .

ولما كانت الشابة قد ترددت في اختيار مكانها ، يترك لها بيير مقعده في حركة آلية .

أثناء هذا ، تقترب خادمة ويأمر الشاب :

« كأسان . »

تلاحظ إيف الشابين وتقول :

« إنها جميلة . »

بيير الذي لم تغادر عيناه رفيقته يبتسم ويوافق :

« جميلة جدًا . »

لكن يبدو كما لو أن إيف تراه مفكرًا . تضطرب قليلاً.

تسأل الشابة :

« فِيمَ تفكر ؟ »

أجاب الشاب :

« أنا أفكر في أنني أسكن المدينة نفسها منذ عشرين عامًا ولم نتعرف إلى بعض من قبل . »

« لولا جاري لما كنت دُعيت إلى لوسيين .. »

« .. وما كان يُتاح لنا أن نتعرف إلى بعض . »

يقولان في نفس واحد :

« كان الواحد يتهرب من الآخر ! »

وضعت الخادمة كأسين أمامهما . يجلسان في هدوء والعين في العين .

أثناء تناولهما الكاسين وهما يقرعان ، يخفت صوت الشابين ويعلو صوت بيير وإيف :

« في صحتك ! »

« في صحتك ! »

يتضح بعد هذا صوت الشابين . تقول الشابة والصوت يقترب :

« أنت اليوم لست منتبهًا إليّ .. »

احتج الشاب في رزانة : « أنا : أنا أفكر وأقول . إنها ملائمة لي . أنا أفكر فيك وأشعر بك في سائر أنحاء جسمي .. »

يرقب بيير وإيف المنظر وهما ينصتان دون أن يتحركا، ويبدو كما لو كان حديث الشابين هو حديثهما . يتحركان في عصبية وهما يتكلمان .

تابع الشاب :

« أنا معكِ أشعر بالقوة والصلابة يا جين . اليوم أستطيع أن أهد الجبال . »

وجه بيير يكتسي تعبيرًا ما وهو يحدِّج إيف كما لو كان يرغبها .

يمد الشاب يده إلى رفيقته التي تمنحه يدها .

يمد بيير يده إلى إيف .

يغمغم الشاب : « أنا أحبك . »

يقبل الشاب الفتاة .

يرقب بيير وإيف المنظر وهما مضطربان حتى الأعماق، يفتح فمه كما لو كان يقول : « أنا أحبك .. »

يكتسي وجه إيف التعبير نفسه . يبدو عليها كما لو كانت تريد أن تقبله .

ومع هذا تتراجع . تجعل بيير ينهض دون أن تترك يده .

تقول :

« هل تحب أن نرقص ؟ »

يقول وهو ينظر إليها :

« أنا أرقص سيئًا ، أنت تعرفين .. »

« ليس في الأمر سوء ، تعال . »

ينهض بيير ، ويقول مترددًا :

« كل الناس سوف يراقبوننا .. »

في هذه المرة تضحك إيف من أعماقها :

« كلنا موتى . »

يضحك بدوره حتى يستلقي ، ويطوّق الشابة برقة قليلة .

يشغلان ساحة الرقص التي تتوسط الموائد .

من الواضح أنه لا يوجد غيرهما في المرقص ، يخطو بيير مع رفيقته في ثقة .

تقول إيف ملاحظة :

«ما هذا الذي تقوله ؟ أنت ترقص رقصًا رائعًا للغاية»

« هذه هي عادة المرة الأولى حيث يقول المرء فيها مثل هذا الكلام . »

« إنني أنا التي لا تستطيع أن تتابعك في الرقص . »

« أنا أبدا في خشية .. »

يحدجان بعضهما بعضًا ويرقصان في اللحظة نفسها في صمت .

يسأل بيير فجاة :

« قولي لي ، ما هذا الذي يحدث ؟ أنا أفكر انني منذ قليل كنت أشعر بالضجر ، والآن هذا أنا .. أرقص ولا أرى إلا ابتسامتك .. الذي يفصل بيننا هو الموت ..»

« هذا ؟ »

« نعم . لكن أود أن أرقص معك دومًا ولا أرى سواك ، وحينئذ سوف أنسى كل شيء .. »

« ثم ؟ »

« الموت يصبح أحسن من الحياة . ألم تتبئِي هذا ؟ »

تقول :

« هذا أيضًا بالنسبة لي . »

يقترب وجهاهما الواحد من الآخر . يرقصان ثانية لحظة ثم تكرر :

« هذا أيضًا بالنسبة لي .. »

وفجأة يغتمُّ وجه بيير . يتوقف عن الرقص ويغمغم موجهًا كلامه إلى إيف :

« هذه ملهاة . أنا لا أستطيع أن ألمس قامتك .. »

تفهم إيف بدورها :

تقول في بطء :

« هذا حق ، نحن نرقص وكل منا عالم لوحده .. »

يتوقفان ، الواحد وجهه أمام وجه الآخر .

ثم يمد بيير يديه كما لو كان يريد أن يضمهما على كتفَي المرأة الشابة، ثم يرجعهما في حركة يأس .

يقول :

« يا إلهي ، كم هو جميل أن ألمس كتفيك ! كما أحب أن أستنشق أنفاسك وأنت تبتسمين . ولكن هذا هو الذي ينقصني . لقد تعرفنا إلى بعضنا البعض متأخرين للغاية .. »

تضع إيف يدها على كتف بيير .

تنظر في عينيه :

« أنا مستعدة أن أتنازل عن عمري لكي أرتدَّ إلى الحياة لحظة وأن أرقص معك . »

« عمرك ؟ »

« هذا هو كل الذي بقي لنا . »

يقترب بيير من رفيقته ويعانقها من جديد . يظلان يرقصان في نعومة كتفًا إلى كتف وهما يغلقان أعينهما .

وفجأة يغادر بيير وإيف ساحة الرقص، وإذ بهما في شارع لاجونزي حيث يلوح ديكور المنظر لهما بينما تخفت صورة المنتدى .

يظل بيير وإيف يرقصان معًا دون أن يتبينا ما يحدث. هما الآن وحدهما في ذلك الزقاق الذي يوجد به المحل الوحيد .

وفجأة يكفّان عن الرقص في حركة مباغتة . وعيونهما تتسع دهشة .

« أخشى كما لو أنني يجب أن أتركك . فلننتظر . . »

« وكذلك أنا . . »

في هذه اللحظة يتلفتان حولهما ويتبينان زقاق لاجونزي .

يهز بيير رأسه كما لو كان قد فهم الأمر ويقول :

« يبدو أننا الشخصان المنتظران .. »

يتجهان معًا إلى المحل الكئيب والموسيقى تزداد حولهما .

(مؤخرة المحل)

المرأة العجوز جالسة أمام منضدتها ومرفقاها مستندان إلى دفترها الكبير المغلق وذقنها مستندة إلى كفيها .

القط جالس على الدفتر كعادته .

تقترب إيف وبيير في خجل ناحية المرأة العجوز . ولقد واجهتهما قائلة :

« آه ! أنتما .. لقد تأخرتما خمس دقائق . »

قال بيير :

« هل ضللنا الطريق ؟ هل كنت تنتظريننا ؟»

فتحت المرأة الدفتر الكبير على صفحة فيها علامة أمام اسم وتبدأ تقرأ في صمت وفور بارد لا رنة فيه :

« المادة ١٤٠ : إذا حدث من جرّاء غلطة غير متعمدة أن رجلاً وامرأة أحب الواحد منهما الآخر لم يكونا قد التقيا في دنياهما ، فإن لهما الحق في أن يطلبا الحصول على إذن بالعودة إلى الأرض وفق شروط معينة لكي يحققا الحب ويعيشا هناك حياة مشتركة هي التي حُرما منها . »

وبعد أن أنهت محاضرتها ، رفعت رأسها وهي تنظر عَرَضًا إلى الشخصين المندهشين .

« أليس من أجل هذا قد أتيتما هنا ؟ »

يتبادل بيير وإيف النظرات ، وتتحول دهشتهما إلى سرور شديد .

قال بيير :

« هذا يعني .. »

« هل تحب أن تعود إلى الأرض ؟ »

قالت إيف : « يا إلهي يا سيدتي .. »

أصرت المرأة العجوز بإصرار خفيف .. قالت وقد نفد صبرها :

« حين أوجه إليكما سؤالاً محددًا ، فأجيبا . »

يحدّج بيير رفيقته بنظرة جديدة مليئة بالتساؤل البهيج .

تقول إيف فورًا :

« أجل .. »

وحينئذ يلتفت إلى المرأة العجوز ويعلن لها :

« نحن نرغب في العودة يا سيدتي ، إن كان هذا ممكنًا فنحن راغبون فيه . »

أكدت له المرأة العجوز :

« هذا ممكن يا سيدي . »

ثم أضـافت : « هذا يمـقّـد الأمـور كـثـيـرًا ، لـكن هذا ممكن »

وفـجـأة يأخـذ بيـيـر ذراع إيف ، لكنـه يتـرك ذراعـهـا بسهولة وقد أصبح وجهـه جادًا وله نظرة قاسية يحدّج بها المرأة العجوز .

ولما كانت موظفة مدنية فقد سألت بيير :

« هل ستكرس حياتك من أجل السيدة ؟ »

قال برزانة : « نعم . »

« وأنت يا مـدام شـارليـه ، هل سـتكرسين وجـودك من أجل السيد ؟ »

تغمغم إيف وقد احمـر وجهها خجـلاً ، كمـا لو كانت شابة عروسًا ستتزوج :

« نعم .. »

تنزاح المرأة العـجـوز حـينئـذ من فـوق دفـتـرها وتقلب الصفحات وهي تغمغم :

« دا .. دو .. دو .. دومين حسنًا ، شـا .. شـا .. شـا .. شـارليه ، حسنًا ، حسنًا ، حسنًا ، هذا رائع . أنتمـا حـقًـا قـد كُتب الواحـد منكمـا للآخـر . إلا أن هناك تعقيدًا في هذا المضمار . »

إيف وبيير يبتسمان ، هما سعيدان ومضطربان تتشابك أيديهما خفية .

إيف مندهشة قليلاً ، بيير متحير نوعًا ما .

تضطجع المرأة العجوز إلى الوراء وهي تفحصهما بانتباه وترقبهما عرضًا وجهًا وذراعًا :

تقول :

« زوجان جميلان . »

أثناء ذلك ، تنحني المرأة العجوز من جديد على دفترها الذي قرأت فيه المادة ١٤٠ المشهورة . لكنها هذه المرة تقول وهي تلخص :

« هذه هي الشروط التي يجب أن تعملا بها . سوف تعودان إلى الحياة . ولن تنسيا ما عرفتماه هنا ، فإذا أحببتما بعضكما في الأربع والعشرين ساعة القادمة بكل ثقة ، وبكل قواكما ، فسوف تُمنحان وجودًا إنسانيًا أبديًا . »

وأثناء ذلك تنقر على مكتبها وهي تنبههما :

« إذا أحببتما بعضكما حتى الأربع والعشرين ساعة القادمة ، وهذا يعني الساعة العاشرة والنصف ، فلن تعودا إلى هنا مطلقًا .. »

يتبصَّر بيير وإيف التنبيه في قلق :

«فإذا شابت علاقتكما أدنى صلة من عدم الثقة .. آه، حسنًا ، فسوف تعودان لترياني ، وسوف تستعيدان مكانيكما ثانية بيننا ، هل هذا واضح ؟ »

لدى بيير وإيف مزيج من الابتهاج والخشية وقد عبَّرا عنهما بقولهما :

« مفهوم . . »

تنهض المرأة أثناء هذا وتقول بوقار :

« حسنًا ، أنتما مرتبكان . . »

ثم وقد غيرت لهجتها تأخذ بذراعهما وهي تبتسم :

« أنتما رائعان ! »

أجاب بيير : « شكرًا يا سيدتي . . »

« مع السلامة . . »

يحيِّي بيير وإيف برأسيهما ، ثم وهما يمسكان ذراعيهما معًا يتجهان إلى اليسار قليلاً ناحية الباب :

« عفوًا يا سيدتي .. لكن عندما نرجع إلى مكاننا السابق ، فماذا سيعتقد الأحياء ؟ »

تقول إيف في قلق : « ألن يكون لنا مظهر المومياء ؟ »

تهز المرأة رأسها وهي تغلق دفترها :

« لا تقلقا . نحن سنعيد وضع الأشياء إلى نصابها كما كانت في اللحظة التي وجدوكما فيها ميتين . ولن يتبين مخلوق حقيقة وضعكما . . »

« شكرًا يا سيدتي .. »

إيف وبيير صارا من الأحياء . ثم يخرجان وهما يمسكان أذرع بعضهما معًا .

(الشارع الصغير والميدان)

هذا هو نفس الشارع الصغير الذي التقى فيه بيير بالرجل العجوز بعد مقابلته الأولى للمرأة العجوز . في نهاية الشارع يستطيع الإنسان أن يلمح الميدان الصغير الذي يعبره الأحياء والأموات .

بجانب الباب يجلس الرجل العجوز الذي ينتظر الزبائن الموتى على العتبة . وبجانبه يقترب عامل في الأربعين من عمره .

يخرج بيير وإيف من عند المرأة العجوز ويخطوان بضع خطوات .

هناك رجل عجوز لم يتبينهما وهما يخطوان . ينهض ويحييهما في أدبٍ متناهٍ :

« أنتما القادمان الجديدان بيننا . »

يرتدُّ بيير وإيف حينئذ . الرجل العجوز مندهش يتبين رفيقيه القديمين ، فيصيح :

« حسنًا ، هذا انتما ؟ أنتما في مهمة ؟ »

يقول بيير :

« هل تتذكر ما طلبته منك ؟ أليس في استطاعة مخلوق أن يرجع إلى الأرض ؟ حسنًا ، إننا عائدان . »

أثناء كلامه يمسك إيف من ذراعها .

خلفهما يشرئبُّ العامل برأسه . ينهض ويقترب من الجماعة . ولكن له وجهًا مبتهجًا ومليئًا بالأمل .

سأل الرجل العجوز :

« هل هذه مكرمة خاصة ؟ »

شرحت إيف :

« هذه هي المادة ١٤٠ : لقد خُلقنا لبعض . »

قال الرجل العجوز :

« إهنئكما من قلبي . كم كنت أود أن أكون مرشدًا لكما ، لكن في هذه الحالة .. »

يحيِّي ويقول في بسمة :

« سوف تمرين بي .. يا سيدتي . »

بيير وإيف مبتهجان ، يحييان بذراعيهما وداعًا ، يخطوان ويمشيان أمام العامل الذي يقول في أمل كبير ولكن في قلق شديد :

« أستميحكم عفوًا يا سيدي ويا سيدتي .. هل الأمر حقًا كما تقولان ؟ هل ستعودان ؟ »

قال بيير :

« نعم يا رفيقي ، لماذا ؟ »

« سوف أطلب منك خدمة .. »

« بكل سرور . »

« حسنًا .. لقد مت منذ سبعة عشر شهرًا . ولزوجتي عشيق. هذه غلطتي .. لكن من أجل طفلتي الصغيرة. عمرها سبع سنوات . والعاشق لا يحبها . فإذا استطعتما الذهاب للبحث عنها ووضعها في مكان آخر .. »

سألت إيف :

« هل يضربها ؟ »

أجاب الآخر :

« كل يوم . وكل يوم أرى هذا المنظر وليس في

استطاعتي أن أتدخل .. وامرأتي تتركه يفعل هذا . فهو مسيطر عليها ، هل فهمتما ؟ .. »

يقول بيير :

« سوف نهتم ببُنيَّتك . »

« حقًا هل هذا حقيقي ؟ هل ستفعل ؟ »

تقول إيف بدورها :

« هذا وعد . أين تسكن ؟ »

« ١٢ شارع ستانيسلاس . اسمي آستروك .. لن تنسيا؟ »

يؤكد بيير: « هذا وعد. سوف أهبط بعد قليل وفي أثناء ذلك دعنا يا صديقنا العجوز .. »

العامل مبتهجًا يغمغم :

« حسنًا ، شكرًا يا سيدي .. حسنًا ، شكرًا .. حظًا سعيدًا . »

يبتعد بضع خطوات ، ثم يعود وهو يحدج إيف وبيير وعلى وجهه تعبير بالأمل ثم ينطلق ..

يحيط بيير رفيقته بذراعيه .

ينطلقان .

سال بيير :

« ما اسمك ؟ »

« إيف .. وأنت ؟ »

« بيير . »

ثم ينحني على وجهها ويقبلها .

وفجأة تخفت الأضواء ويبدأ بيير وإيف يخفتان .

لا يظلان وسط الشارع ، وهنا يقولان :

« حظًا سعيدًا ! .. حظًا سعيدًا ! .. »

(شارع الضاحية)

على طريق الضاحية تدور عجلة بيير ببطء .

بيير طريح الأرض ، يحيط به العمال .

وفجأة يتحرك بيير ويرفع رأسه .

يصيح قائد الجند :

« افسحوا الطريق ! »

ينهض بيير من سُباته بسبب صيحة الأمر . ينظر وهو يسمع احد العمال يصيح :

« فليسقط الجنود ! »

جنديان على رأس الفصيلة يرفعان بتدقتي التومي جن بإشارة من رئيسهما الذي يصيح :

« لآخر مرة ، آمركم أن تتنحوا من الطريق ! »

يتنبه بيير تمامًا للخطر فجأة ، يقفز قائمًا وهو يصيح في زملائه :

« لا تكونوا بلهاء ! »

يستجيب الكثيرون لبيير ، بينما يتحدى الآخرون الجنود وفي أيديهم الأحجار والمجارف .

يصر بيير غاضباً :

« أفسحوا الطريق بحق الله أيها البلهاء . ألا ترون أنهم سيطلقون النار ؟ »

يفسح العمال الطريق مترددين .

تسقط الأحجار من أيديهم . تنخفض البنادق . يرفع أحد العمال عجلة بيير .

ثم يستدير رئيس الجند إلى أحد رجاله ويصيح آمرًا:

« إلى الأمام سر ! »

تبدأ الفصيلة في التحرك ، تمر بجماعة العمال وتختفي مع وقع أقدامهم الثقيل المنتظم الذي يخفت تدريجيًا .

(حجرة نوم إيف)

في حجرة نوم إيف يد أندريه تسحب الغطاء الفرو على جسد زوجته .

ينهض أندريه في تثاقل ، وفي وجهه انفعال الزوج الثاكل مرسوم بدقة ، عندما يشحب وجهه فجأة ، وتحملق عيناه في رأس السرير .

تتحرك إيف في خفة . ثم تفتح عينيها ، وتنظر إلى زوجها الذي ينظر إليها مسحوراً .

أما لوسيت فهي راكمة قرب السرير ووجهها مدفون في الغطاء تنتحب . تمسك يد إيف . تلقي إيف عليها مجرد نظرة خاطفة سريعة ، ثم ترفع عينيها إلى زوجها في الحال ثانية . ترتسم على شفتيها شبه بسمة شاحبة وكأنها تقول : « انظر ، أنا لست ميتة.»

(طريق الضاحية)

يستند بيير إلى باولو بجانب الطريق . لقد تجمع حشد من العمال حوله . يشيعون الجنود بنظرهم منصتين إلى وقع أقدامهم الذي يتضاءل .

يلتفت باولو أخيراً إلى بيير في تنهدة عميقة تدل على الارتياح :

«لقد أفزعتني أيها الشقي .. لقد ظننت أنهم نالوك.»

جميع الرجال الآن يشعرون بشيء من الدهشة كنوع من القلق . وهذا راجع إلى الخطر الذي نفذوا بجلدهم منه منذ قليل ، لكن أيضًا بسبب رجعة بيير إلى الحياة .

يكشف بيير عن كُمٍّ ممزق لدى الكتف .

يقول :

« كانت الضربة في الصميم . لكن ضجة الطلقة جعلتني أقفز ثم سقطت وانحدرت . »

يبتسم .

يمتلئ وجهه بنوع من فرط السرور لا يُتصوَّر، مما يزيد من شعور زملائه بالقلق . يهز باولو رأسه.

« أيها الفتى ، كدت أقسم .. »

يبتهج بيير وهو يقول : « الشعور نفسه . »

يسأل أحد العمال : « هل تريد مساعدة ؟ »

« كلاً ، كلاً ، أنا بخير . »

يخطو بيير خطوتين ويتبعه باولو .

يبدأ عقد العمال ينفرط من حوله عدا العامل الذي رفع دراجة بيير .

يتجه بيير إليه بينما يلقي باولو نظرة مليئة بالكراهية في الاتجاه الذي سار فيه الجنود ؛ يقول في تهكم :

« أولاد الحرام الحقراء ! لن تكون لهم مثل هذه الجعجعة غدًا . »

يقف بيير في منتصف الطريق وهو يحملق في الأرض. يجيب بغير انتباه :

« غدًا ؟ لن يحدث شيء . »

يسأل باولو في دهشة :

« ماذا تقول ؟ »

يتوقف بيير . يلتقط حجرًا بحذر وينقله من يد إلى يد أخرى وهو يقول مبتسمًا :

« إنه ثقيل ، إنه خشن .. »

يتبادل باولو والعامل النظرات المضطربة .

في أثناء ذلك ، يلقي بيير نظرة سريعة حوله ، ثم يتألق وجهه ، يلاحظ كوخًا مهجورًا قديمًا له نافذة بشرًاعة سليمة . يقذف الحجر بكل قواه مهشمًا الشراعة .

« هذا مما يخفف الحمل ! »

بعد هذا يرتقي دراجته وهو يقول لباولو :

« الساعة السادسة في بيت ديكسون . »

باولو والعامل لديهما الشعور نفسه ؛ هناك شيء غريب في بيير . يتبادلان النظرات ، يسأل باولو :

«هل انت على ما يُرام يا بيير ؟ الا تحب أن آتي معك؟ »

« لا تقلق ، لست خائفاً . »

يحجل على البدَّال وهو ينطلق .

ينصح العامل باولو :

« يجب الا تتركه . إنه يبدو أهوج .. »

يتفكر باولو بسرعة .

يقول :

« سآخذ دراجتك . »

يتجه ليأخذ الدراجة من الجانب الآخر للطريق . يقفز عليها ، وينطلق وراء بيير .

(حجرة إيف)

لا تزال لوسيت بجانب سرير إيف ممسكة يد أختها .

وفجأة تتحرك اليد .

ترتاع لوسيت وتتطلع إلى إيف في ذهول وتصيح :

« إيف ، يا عزيزتي . إيف .. »

تلقي بنفسها في أحضان أختها وهي تنتحب وتنشج .

تحيطها إيف بذراعيها بحركة مليئة برقة حانية . لكن تظل عيناها مثبتتين على زوجها .

تغمغم لوسيت من خلال دموعها :

« إيف .. لَكَمْ افزعتِني .. ظننت .. »

تقاطعها إيف برقة :

« وأنا كذلك .. »

لا يزال أندريه دون حراك ، وكما لو كان مسحورًا ، يستدير ويقول وهو يتجه إلى الباب :

« سأحضر طبيبًا . »

تقول إيف :

« ليس هذا ضروريًا يا أندريه . »

يستدير أندريه الذي كان قد وصل إلى الباب ويقول في تحير :

« لكن يجب أن أحضر لك طبيبًا . »

يمضي سريعًا وهو يغلق الباب خلفه .

حالما يمضي أندريه ، تجلس إيف وتسأل أختها :

« أحضري لي مرآة من فضلك . »

تنظر إليها لوسيت مندهشة .

« أنت .. »

« نعم ، مرآتي ، هناك على التسريحة . »

عندما يعبر أندريه دهليز الشقة ، يلقي نظرة مضطربة وراءه .. يلتقط قبعته وعصاه آليًا ، ثم يطوح بعصاه وينطلق .

تنحني لوسيت على إيف وهي تمسك المرآة .

تأخذها إيف بشغف ، ثم تنظر في ولهٍ لصورتها المنعكسة في المرآة وتغمغم :

« استطيع أن أرى نفسي ! »

سألت لوسيت :

« ماذا قلت ؟ »

تجيب إيف :

« لا شيء ! »

لوسيت جالسة على حافة السرير تنظر إلى أختها في قلق .

تضع إيف المرآة جانبًا ، تتناول يد أختها الصغيرة ؛ بينما يكتسي وجهها تعبيرًا حادًا ، تسأل برقة :

« ماذا هناك بينك وبين أندريه يا لوسيت ؟ »

تتسع حدقتا لوسيت دهشة .

تقول في تحيُّر لكن بإخلاص :

« لا شيء . ماذا يمكن أن يكون هناك ؟ أنا أُعجب به كثيرًا . . »

تمسّد لوسيت شعر إيف وتتكلم في محبة :

« هل تعلمين أنه تزوجني من أجل باثنتي ؟ »

تحتج لوسيت في طيش :

« إيف ! »

« إنه يكرهني يا لوسيت ! »

أجابت لوسيت وهي تبتعد عن أختها: « لقد مكث بجانبك كل ليلة طيلة مرضك يا إيف . . »

« لقد خانني عشرات المرات . افتحي درج مكتبه وستجدين مجموعات من الرسائل من نساء أخريات.»

تنهض لوسيت فجأة، لا توقر أختها وتقول متشككة وهي:

تصيح :

« ليس لك الحق مطلقًا يا إيف .. »

تقول إيف في هدوء :

« اذهبي ، وابحثي في درجه .. »

تتنحّى الغطاء أثناء ذلك وتنهض من السـرير ، بينمـا ترتد لوسيت للوراء كما لو كانت خائفة من أختها .

تنفجر الصغيرة في عزم ولها مظهر الحَرُون الغاضبة:

« لـن أذهب فأنقب في أوراق أندريه. أنا لا أصـدقك يا إيف. أنا أعرف بيير خيرًا منك.. »

تمسك إيف بكتفَيّ أختهـا ، تنظر إليهـا لحظة وتعلن في هـدوء ، لكن في قـسـوة رقـيـقـة فـيـهـا شـيء من سخرية :

« أأنت تعـرفـينه خـيـرًا مني ؟ أكنت مـعـه طويلاً حـتى تعـرفيه أكثر مني ؟ حسنًا ، إذًا أصغي إليّ : أوتدرين ما فعله ؟ »

« لن أنصت إليك بعـد الآن . إنك مـحـمـومـة . وأنت تريدين أن تؤذيني . »

« لوسيت .. »

« اصمتي ! »

تنزع لوسيت نفسها فجأة من بين يدَيّ أختها وتندفع خارجة من الحجرة .

تترك إيف ذراعيها تتدليان ، وهي ترقب أختها تمضي.

(منزل شقة أسرة آل شارليه)

يقترب بيير مترددًا ؛ ثم يتوقف أمام منزل الشقة التي تسكنها إيف .

يرفع عينيه متحققًا من الرقم ، وكان على وشك الدخول عندما خرج ضابطان من المنزل .

يمتقع لون بيير ، وينتظر حتى يبتعدا عن مجال النظر ثم يدخل .

في اللحظة نفسها ، باولو على دراجة قد توقف عند مقعد حجري على مبعدة قليلة . يراقب بيير وهو يدخل المنزل الفخم .

(مدخل المنزل)

يعبر بيير الحوش الفارغ ببطء ، يتجه إلى حجرة الحارس التي تظهر من خلال الألواح الزجاجية .

الحارس في زيه الأحمر الخفيف . يفتح بيير الباب نصف فتحة :

« مدام شارليه ؟ »

يقول الحارس في اختصار:

« الثالث إلى اليسار . »

« شكرًا . »

يغلق الباب ويتجه إلى السلم الأمامي .

لكن الحارس الذي يتبعه بعين فاحصة ، يفتح الباب ثانية ويصيح خلفه فجأة :

« السلم المستعمل للخدم إلى اليمين . . »

يستدير بيير بسرعة ويفتح فمه ليشتم، ثم يهز كتفيه ويتجه إلى الباب المكتوب عليه « سلم الخدم » .

(حجرة نوم إيف وحجرة الاستقبال)

إيف التي انتهت من لبسها ، ترتد إلى التسريحة ، تبدو عصبية وأنها في عجلة .

ترتدي طاقمًا بسيطًا لكنه أنيق . هناك معطف من الفرو ملقي على السرير .

يُطرق الباب . تلتفت إيف بسرعة :

« ادخل . »

تبدو الوصيفة وهي تعلن :

« سيدتي ، هناك من يطلب التحدث إليك . يقول إنه من طرف بيير دومين . »

في هذه اللحظة ، تجفل إيف . تحاول أن تسيطر على نفسها وتسأل :

« أين هو ؟ »

« تركته في المطبخ . »

« أوه ، لكن عليك أن تقوديه إلى حجرة الاستقبال في الحال . »

« حسنًا يا سيدتي . »

تخفي إيف وجهها بين يديها وهي وحدها ، تحاول أن تسيطر على نفسها ، تترنح قليلاً كما لو كان كل شيء يتراقص حولها . تزيح يديها وتلتقط علبة المساحيق .

في هذه اللحظة تقود الوصيفة بيير إلى حجرة الاستقبال وسرعان ما تتركه .

يتلفت بيير حوله متخوفًا من كل هذا الترف .

وفجأة يُفتح الباب .

تبدو إيف ، تظل في مكانها ، قلقة حتى الأعماق . يستدير بيير .

وهو قلق أيضًا للغاية ، لكنه متحير كذلك . يضحك عابثًا ، ولم يجد ما يقوله سوى :

« حسنًا ، ها أنا .. »

الاثنان متحيران :

يتبادلان النظر وهما يضحكان في اضطراب ، لكن في اختلاف - فهو يعاني شعورًا بالضَّعَة ، بينما هي على العكس متأثرة للغاية .

تقول بدورها في ضحكة عصبية :

« نعم ، انت هنا .. »

ثم تتجه في بطء ناحيته وتضيف :

« كان يجب ألا تستخدم السلم المستعمل للخدم . »

يحمرُّ وجه بيير ، يجيب :

« أوه ! أنا .. لا يهم . »

وفجأة ، يُفتح الباب وتندفع لوسيت للداخل. تلاحظ بيير بعد أن تكون قد أغلقت الباب.

تقول :

« أوه ! أنا آسفة . »

يقف بيير وإيف متقاربين للغاية . تحدق فيهما لوسيت لحظة ، ثم ترتد إلى نفسها ، تلتف حولهما وتتجه إلى باب آخر .

تأخذ إيف بذراع بيير وتقول في حُنُوّ :

« تعال .. »

لا تتمالك لوسيت من أن تنظر خلفها ، وهي ترقب خروجهما مندهشة .

تخرج هي الأخرى وقد صُدمت ، وهي تُصفق الباب خلفها .

يخطو بيير قليلاً في حجرة إيف قبل أن يستدير ليواجهها .

تتفحصه وهي واقفة ساكنة لحظة طويلة بنوع من الدهشة .

تهمهم : « هذا انت .. »

يقول في بله : « آه ، نعم .. هذا أنا . »

يحاول أن يضع يديه في جيوبه ، يخرجهما في الحال.

تقول إيف : « اجلس . »

يستدير بيير وهو ينظر إلى الكرسي ، يخطو تجاهه ويقول حينئذ :

« أفضل الوقوف . »

يبدأ بذرع الحجرة جيئة وذهابًا ، وهو يلتفت حوله .

« أتعيشين هنا ؟ »

« طبعًا .. »

يهز بيير رأسه في مرارة :

« مكان ثمين . »

تجلس إيف على السرير ، وهي لم تزل تنظر إليه . يرتد بيير إلى الأريكة . يجلس .

يتداعى بفتور ؛ على حافة المقعد ، قدماه مطويتان تحته ، ولمحة عدم اكتراث تعلو وجهه .

ثم تبدأ إيف تضحك فجأة في عصبية .

ينظر إليها مندهشًا ، وقد تأذّى . لا تستطيع أن توقف إيف نفسها .

« لماذا تضحكين ؟ »

تنجح أخيرًا في التغلب على ضحكها وعلى الدموع التي كادت أن تطفر منها .

« لأنك تبدو كما لو كنت تقوم بزيارة رسمية . »

لم يقتنع بيير ويقول ونفسه مثبطة :

« لقد كان الأمر أكثر سهولة هناك .. »

ينهض . يخطو ، يداه خلف ظهره ، يزداد قلقه ، منزعجًا من كل ما يحوطه .

إيف وجهها مجهد ، تراقبه دون أن تتبس وهو يتجول في الحجرة .

يمر بيير أمام التسريحة المليئة بالزجاجات والفرش وأدوات الزينة المترفة . ثم يتوقف أمام دولاب زجاجي مليء بالأشياء الغالية : التماثيل الصغيرة الصينية ، أحجار غالية ، طيور محنطة مزينة بالجواهر .

يتطلع إلى كل هذا ببسمة شبه ساخرة ، وهو شبه حزين .

في اللحظة نفسها يقول من بين أسنانه كما لو كان يغمغم لنفسه :

« نعم ، نعم ، نعم . »

ثم ، دون أن يلتفت ، وفي لهجة حازمة ، يقول :

« عليك أن تزوريني في بيتي يا إيف . »

تسأله في قلق مؤكد :

« أين ؟ »

يكرر في بساطة :

« في مسكني . »

« سأغادر هذا البيت بالتأكيد يا بيير . سأذهب معك أينما تشاء . لكن لا تذهب بعيدًا . »

« أنا أفكر كثيرًا .. الحب رائع مع الموتى . أما هنا ، فهنا كل هذا .. »

يلمس بأطراف أصابعه المعطف الفرو الملقي على السرير .

تكرر إيف :

« كل هذا ؟ »

يهز رأسه وهو يعني الحجرة :

« الفراء ، البساط ، البهرجات .. »

تفهم إيف وتضع يدها على يد بيير .

« ومن ثَمَّ فهذه ثقتك فيّ ؟ ليس « كل هذا » هو ما يبقيني هنا يا بيير . كان عليّ أن أبقى هنا بسبب أختي . فعليّ أن أحميها . »

« كما تشائين . »

« بيير ! »

لا يزال واقفًا لا يريم ، بينما تتجه إيف ناحيته ، تضع يدها على ذراعه وهي تغمغم :

« أنت ظالم .. »

لكن وجه بيير لا يلين ، تأخذ إيف بذراعه الأخرى .

« يجب أن لا نتشاجر يا بيير . ليس لدينا وقت . »

وفي هذه اللحظة يفتح أندريه الباب ويدخل ، وقبعته في يده .

ولوسيت التي يظهر أنها أخبرته عن تصرف أختها الشاذ ، تُرى وراءه ، لكن تظل في حجرة الاستقبال .
يلتفت بيير وإيف دون تردد ناحية الباب .

يقول أندريه آليًا ليقطع الصمت :

« سيكون الطبيب هنا بعد خمس دقائق . . »

تظل إيف ممسكة بذراع بيير . تبتسم ساخرة .

« يا عـزيزي أندريه المسكين ، يجب أن تسـامـحني . لست حية فحسب. بل إني أحس أنني بخير تمامًا. »

يجفل أندريه بوضوح ، لكن يستعيد نفسه في الحال، يبتسم هو أيضًا ساخرًا :

« كما أرى . . »

يلج الحـجـرة ، يضع قبعته على كـرسي ، ويقـول في سهولة واضحة :

« ألن تقدميني إليه ! »

« ليس هذا مهمًا على الإطلاق . . »

ثم يلتفت أندريه إلى بيير مـزهوًا ، وعليه لمحة من الدهشة .

يقول :

« ليس هـذا هو مـا أنا قلق عليه بصـفـة خـاصـة . بل إنك تختارين أصدقاءك بطريقة غريبة . . »

يتجه بيير خطوة ناحية أندريه في تهديد ، لكن إيف تبعده :

« بيير .. »

عندما يتحرك بيير تكون لوسيت قد تقدمت إلى الحجرة لكن تظل في المؤخرة ، قليلاً ، إلا أنها تكون واضحة بجانب أندريه .

بينما أندريه يستهزئ ويداه في جيبيه :

« ومن ثم فأنت تنادينه بيير من قبل ؟ تم هذا من وقت طويل ؟ »

« تستطيع أن تظن ما تظنه ، يا أندريه ، لكن أمنعك أمام لوسيت .. »

« أوَ لاَ تظنين أن هذا ليس بالوقت الملائم لتلقي عليّ الأوامر ؟ أنت حرة في أن تنطلقي تبحثين عن .. أصدقائك في أحياء الرعاع ، لكن أرفض أن تستقبليهم تحت سقفي أمام لوسيت . »

تمنع إيف بيير مرة أخرى إذ يكون متأهبًا ليقفز عليه وتتابع بنعومة :

« أنت سافل يا أندريه . »

ينجح بيير في تخليص نفسه ويتجه هادئًا نحو أندريه بالرغم من مظهره المربَّد . يرتد خطوة . يشمر بيير أكمام معطفه استعدادًا للضربة .

تصرخ لوسيت وهي تمسك بذراع زوج أختها :

« أندريه ! »

يخلّص الأخير نفسه وهو يضرب ذراع بيير . يظل بيير منتصبًا أمامه . يهتم أندريه بأن ترتسم ابتسامة مُرّة على وجهه المُقطّب :

« الذين في مستوانا لا يتقاتلون يا سيدي مع أي صعلوك . »

يقول بيير :

« وأنت ألست خائفًا ؟ »

بحركة مفاجئة يمسكه ثانية وهو يهزه في عنف ، ومرة أخرى تتدخل إيف :

« من فضلك يا بيير .. »

يترك بيير أندريه وهو آسف ، بينما يتراجع بيير وتظل لوسيت تمسك ذراعه .

ثم تمد إيف ذراعها إلى لوسيت :

« تعالي يا لوسيت .. »

بينما تزداد لوسيت التصاقًا بأندريه ، ترتد وهي تصيح :

« لا تلمسيني . »

تقف إيف فجأة وفي يأس ، تسقط ذراعها بجانبها :

« حسنًا . . »

ثم يتصلب وجهها ، وتلتفت إلى بيير .

« الا تريدني أن أنطلق معك ؟ حسنًا ، خذني معك ، ليس هناك ما أفعله هنا . . »

في حركة سريعة تأخذ معطفها وحقيبتها وتتجه إلى بيير وتأخذ بذراعه ، ملقية نظرة أخيرة على لوسيت ، التي تختفي وراء أندريه .

يضع الأخير ذراعه حول كتفَي الصبية حاميًا إياها، ويقول ساخرًا ، والانتصار في صوته :

« قدوة حسنة لأختك . . »

تغادر إيف وبيير الغرفة مسرعين .

(خارج بيت شارليه)

على مبعدة عشرين ياردة من البيت ، باولو مستند إلى شجرة يدخن سيجارة ويرقب المبنى ، دراجته بجانبه .

يتنبه باولو فجأة ويحملق ، ثم يختبئ خلف الشجرة .

تخرج إيف وبيير في هذه اللحظة من المبنى ويمشيان في سرعة .

ينظر باولو وراءه . ثم دون تردد يقود دراجته وهو يمسكها من المقبض ويأخذ في متابعتهما .

بخطوة ثابتة ، تمشي إيف بجانب بيير لكن وجهها حزين . تأخذ بذراع بيير دون أن تتطلع إليه .

ينظر إليها بيير صامتًا ويرى الدموع في عينيها . يأخذ ذراعها وهو يضغط عليها ، ويقول :

« لا تحزني يا إيف . »

تجعل هذه الكلمات الدموع تنهمر .

تقف وهي تبكي ورأسها بين كتفيها .

يضع بيير ذراعه حولها .

« إيف »

تبكي ثانية على كتفيه بينما بيير متأثر يمسّد شعرها .

يسأل :

« انت تفكرين في أختك ، أليس كذلك ؟ »

وإذ لا تجيب يصر قائلاً :

« أتودين العودة إليها ؟ »

تهز رأسها . يصر بيير على توجيه سؤال إليها :

« هل انت واثقة أنك لست آسفة على شيء ؟ »

ترفع رأسها وتنظر إليه وعيناها مغرورقتان بالدموع.

تجبر نفسها على الابتسام وتقول في رقة :

« كيف يمكن أن آسف على شيء يا بيير ؟ إن كل شيء قد بدأ الآن لنا فقط .. »

تأخذ بذراعه ويبدآن المشي ثانية .

تستند إيف إلى بيير تمامًا، الذي يظل مثبتًا عينيه أمامه ثم في صوت متصلب يسأل إيف:

« هل تحبين هذا الرجل ؟ »

« أبدًا يا بيير ! »

« لكن تزوجته ؟ »

« أنا معجبة به . . »

« هذا المخلوق ؟ »

توضح في بساطة : « كنت أصغر من أختي إذ ذاك . . »

ينزاح الحزن عن بيير قليلاً ، لكنه يضيف في قلق :

« سيكون الأمر صعبًا يا إيف . . »

« ماذا تقصد ؟ »

« سيكون الأمر صعبًا بالنسبة لكلينا . . »

تجعله يقف لا يريم ، وفي هذه المرة هي التي تأخذ بذراعه .

تقول :

«كلاً يا بيير . إلا إذا لم تكن لدينا ثقة كما كنا قبلاً.»

يدير رأسه ، لكن إيف تجبره على التطلع إليها .

يجيب :

« ما كان قبلاً ، كان قبلاً . . »

« بيير ! بيير ! يجب أن تكون لديك ثقة . . »

تبتسم وهي تغير لهجتها وتضيف :

« علينا أن نبدأ من الأول . تعال معي .. »

(المتنزه)

بيير وإيف كل منهما يمسك يد الآخر ، يسيران الآن في المتنزه الذي تقابلا فيه بجانب الشحاذ الأعمى .

يسمعان صوت الناي ، لكن ليس للصوت نفس الطابَع القديم الذي كان يعزفه الشحاذ في المرة الأولى .

تُبْدي إيف الآن مرحًا مؤكدًا ، ربما تبالغ فيه قليلاً لتبهج رفيقها .

« هل تسمع ؟ »

يجيب بيير :

« هذا هو الرجل الأعمى . . »

« الشحاذ القديم .. هل تتذكر ؟ لقد حسدنا جَلَدَهُ . »

تضحك بينما يعبر بيير عن خيبة أمله :

« ليست النغمة نفسها . »

وهما يأتيان من جانب الممر ، يستطيعان أن يريا الشحاذ العجوز .

تُخرج إيف قليلاً من نقودها من حقيبتها وتنحني على الأعمى .

« عفوًا ، لكن هل لك في أن تعزف أغنية (أغلقي عينيك يا جميلتي) ؟ »

يتوقف الأعمى عن العزف وتُسْقط إيف النقود في يده . يشعر الرجل بالنقود ويشكرها .

« سيكون السعد من نصيبك يا سيدتي . »

ثم يبدأ يعزف اللحن الذي طلبته .

تقول :

« الآن ، كل شيء كما كان . »

يتابعان المشي في تكاسل .

يبتسم بيير بدوره وقد سُرِي عنه ، يقول :

« إنه خارج عن اللحن كما كان . »

« لا تزال الشمس مشرقة . »

بينما يضيف بيير : « وانظري ، وهاك الشخصين نفسيهما ثانية . »

يتكرر أمام أعينهما المشهد نفسه الذي رأياه من قبل .

تتوقف السيارة الليموزين قرب المقعد الحجري ؛ تترجل الشابة من السيارة . معها جرو . يمر العامل بجوارها، حاملاً الأنبوبة على ذراعه. وكالسابق لا يلقي عليها أدنى نظرة وهو يمر .

وبعد أن يمر العامل من أمام بيير ورفيقته ، يستدير وينظر إلى إيف . تلمح المرأة الشابة نظرته ويقول بيير :

« لا يزال أحدهما غافلاً عن رؤية الآخر . الأمر كما كان . »

تصحح إيف مبتسمة :

« عدا أنه في هذه المرة نظر إليّ . »

ينظر بيير للوراء مندهشًا . العامل مضطرب لأنه ضُبط وهو يحملق ، ومن ثَمَّ يستدير وينطلق . يبتسم بيير مسرورًا بدوره .

يقول : « هذا حقيقي، وفي هذه المرة . أمسك بذراعك الحقيقية تحت ذراعي الحقيقية . »

يخفت صوت الناي تدريجيًا وإيف وبيير يتقدمان في الممر : بينما تحل الموسيقى الراقصة في المنتدى محل صوت الناي .

يتقدمان قليلاً ويقفان أمام المنتدى . لم يتغير المنظر ولا الممثلون .

المرأة الفارسة نفسها تقيد فرسها بالسور وتتجه ناحية جماعة من محدثي النعمة الذين تعودت إيف أن تراهم وهي تعرفهم .

يقترح بيير : « لنجلس . »

تتردد إيف قليلاً وعيناها مستقرتان على القوم الذين تعرفهم .

يلاحظ بيير ترددها ويسألها :

« ماذا هناك ؟ »

تؤكد له : « لا شيء . »

وحتى تنهي ترددها تأخذ بذراع بيير وهي تخطو بين الموائد .

تتجه راكبة الحصان نحو منضدة محدثي النعمة وتلحق بهم قبل أن يمر بيير وإيف بمنضدتهم ، ويسمعان ثانية واحدًا منهم يقول :

« تفضلي بالجلوس يا عزيزتي . . »

بينما تقول المرأة باللهجة المُحبَّبة نفسها :

« كانت الغابة رائعة هذا الصباح ! »

عندما يمر بيير وإيف أمام المنضدة ، ينهض واحد منهم يرتدي زي الركوب كما لو كان يحيّي إيف لكنها تمر بسرعة ، وهي تقول « هالو » في اختصار دلالة على عدم رغبتها في التوقف .

فأجاب الرجل :

« هالو إيف . . »

بينما بيير وهو يمر يومئ برأسه إيماءة خفيفة آليًا .

تتابعهما الجماعة بعيون مندهشة .

« من هذه ؟ »

« أنت تعرفين أنها إيف شارليه . . »

« إيف شارليه ، لكن ماذا تفعل مع هذا الرفيق ؟ »

أجابت المرأة الفارسة : « هذا ما أود أن أعرفه . . »

يتجه بيير وإيف ناحية منضدتهما القديمة لكن يشغلها الآن عاشقان .

عندما يكونان قد وصلا إليها ، تتوقف إيف قليلاً وهي تنحني لهما انحناءة قصيرة وهي تبتسم كما لو

كانت تتوقع منهما أن يتذكراها . يقوم بيير بالحركة نفسها دون تعاطف، لكن العاشقين ينظران إليهما في صفاء ولا يردان تحيتيهما .

تتقهقر إيف وبيير ويجلسان إلى منضدة قريبة وهما يواجهان العاشقين .

يظلان يراقبانهما في إصرار وهما يبتسمان من منضدتهما .

العاشقان ، وقد قوطعت مناجاتهما العاطفية ، مضطربان لكنهما يواصلان خيط حديثهما . وفي هذه اللحظة نفسها ، تسألهما الخادمة :

« ماذا تطلبين يا سيدتي ؟ »

« شاي من فضلك . »

« والسيد ؟ »

يتردد بيير وهو متحير :

« شاي أيضًا . »

تسأل الخادمة وهي تخاطب بيير : « صيني أم سيلاني ؟ »

ينظر إليها متحيرًا :

« عفوًا ! »

تدخل إيف بسرعة وهي تأمر :

« شاي سيلاني لكلينا . . »

يرقب بيير الخادمة وهي تبتعد ويضحك قليلاً وهو يهز كتفيه على شيء لا يستسيغه .

تعاود إيف وبيير الانتباه إلى العاشقين ثانية . ينظر كل منهما للآخر في وَلَهٍ .

يأخذ الشاب بيد الفتاة ، يقبلها في عبادة ، ينظر إليها كما لو كانت جوهرة نادرة ثمينة ، يتنهدان .

يتبادل إيف وبيير الابتسام في تعالٍ .

وعلى أي حال تمد إيف يدها وكفها إلى فوق ، تدعو بيير أن يمد يده . يعطيها بيير يده .

تتناول إيف يده في يدها وتنظر إليها في فضول وفي عاطفة :

« أنا أحب يدك . . »

يهز بيير كتفيه قليلاً :

تمر إيف بطرف إصبعها على ندبة في بطء :

« ما هذه ؟ »

« هذه إثر حادثة عندما كنت في الرابعة عشرة . . »

« ماذا فعلت ؟ »

« كنت تحت التمرين . وأنت ؟ »

« في الرابعة عشرة ؟ كنت أذهب إلى المدرسة . . »

وفجأة يسحب يده محذراً :

« إن أصدقاءك ينظرون إلينا . . »

الواقع أن مجموعة محدثي النعمة جميعهم يتطلعون في فضول إلى بيير وإيف ويسخرون منهما . فأحدهم وكان يرتدي ملابس الركوب ، وإحدى المرأتين ، يرآه يمسكان الأيدي متظاهرين بالحب ، بينما يضحك الآخرون متفكهين .

تتطلع إيف إليهم في حزن . تقول متضايقة :

« هم ليسوا أصدقائي . . »

ولكي تؤكد عدم موافقتها ، تتناول يد بيير ثانية . يبتسم بيير ويقبل أصابعها برقة .

وفي أثناء ذلك ، وكان يهم أن يكرر حركته ، يشعر بعيون العاشقين تستقر عليه . يتوقف وهو مضطرب وحائر .

وفي اللحظة نفسها تلمح إيف نظرة العاشقين إليهما فتسحب يدها .

بيير يبدو مندهشًا ؛ وهي تومئ إلى العاشقين اللذين يرتبكان الآن فينهضان وينتقلان إلى منضدة أخرى ، لا يبدو منهما سوى ظهريهما .

تلاحظ إيف :

« ظننت أنها أكثر جاذبية .. »

يجيب بيير : « لقد أثقلنا عليهما .. »

« لقد أربكناهما الآن . »

« الا تقصدين أن أصدقاءك هم الذين أربكوك ؟ »

« ماذا تعني ؟ »

« أنت تعرفين .. إنهم لم يروك من قبل مع رجل على شاكلتي . »

« ولماذا يهمني ما يعتقدون ؟ »

يصر : « هل أنت واثقة حقًا أنك لست خجلة مني ؟ »

« بل أنت الذي يجب أن تكون خجلاً . »

يهز بيير كتفيه . تتطلع إليه إيف مؤنبة ، ثم تتطلع إلى محدثي النعمة ، وفجأة تنهض وهي تقول :

« تعال ، دعنا نرقص . »

يجيب بيير دون أن يتحرك من مقعده : « في هذه الساعة؟ لكن ليس هناك مخلوق في المرقص يرقص.»

« على أي حال فأنا أريد أن أرقص . . »

يسأل بيير وهو ينهض ضد رغبته : « لكن لماذا ؟ »

« لأنني فَخُور بك . . »

تسحبه ويمران بالمنضدة التي يشغلها محدثو النعمة . تتطلع إليهم إيف في تحدٍّ بينما يبدو بيير غير مرتاح.

إنهم يراقبون بيير وإيف إلى أن يصلا إلى حلبة المرقص ويبدآن الرقص .

أراد أحد الرجال أن يُضْحك الآخرين ، فرفع ياقة معطفه ليقلد الصعاليك . هناك ضحكة وقحة .

في هذه اللحظة ينهض آخر ويتجه إلى صندوق الأسطوانات .

في أثناء ذلك ، إيف وبيير يرقصان .

تقول إيف لبيير :

« هل تتذكر ؟ لقد كنت مستعدة أن أتنازل عن حياتي مقابل عودتي إلى الأرض والرقص معك . . »

يجيب :

« وأنا كنت مستعدًا أن أتنازل عن حياتي لألمس خصرك وأشعر بأنفاسك على وجنتي . . »

يتبادلان قبلة خفيفة وسريعة على الفم . ثم تُميل إيف خدها على خد بيير وتغمغم :

« اعـصـرنـي يا بيـيـر . اعـصـرنـي حـتى أشـعـر بعظامك ...»

« أخشى أن أؤذيك . »

يستمران في الرقص وهما شاردان عن كل مخلوق وعن كل شيء .

لكن فجأة تتغير الموسيقى إلى ڤالس سخيف .

يتوقفان عن الرقص ويتطلعان ناحية منضدة المترفين.

يريان الرجل وهو يرتد ليلحق بأصدقائه وسط عاصفة من الضحك الأهوج .

يتخلص بيير من إيف ويتجه في تصميم ناحية منضدة محدثي النعمة ، بينما عينا رفيقته القلقة تتابعانه . ينحني ويقول للرجل الذي غير الأسطوانة :

« يجب أن تراعي رغبات الراقصين قبل أن تغير الأسطوانة . »

يتخذ الآخر مظهر المندهش .

« الا تحب الفالس ؟ »

ينفجر بيير :

« وانت ، الا تحب صفعة على وجهك ؟ »

لكن الرجل يتجاهل وجوده ويلتفت ناحية امرأة أمام المنضدة .

يسأل ساخراً :

« هل لكِ أن تشرفيني بهذه الرقصة ؟ »

يمسكه بيير حينئذ من ياقة معطفه .

« انظر إليّ ، فأنا أتحدث إليك . . »

زمجر الرجل :

« لكني لا أفعل . لا أفعل . . »

تكون إيف قد أسرعت وتتدخل بين الاثنين .

« أرجوك يا بيير .. »

« أوه ، لا تنزعجي .. »

لكن يداً أخرى تحط فوق كتفه . يلتفت فجأة وهو يترك ياقة معطف خصمه ويجد نفسه وجهًا لوجه مع رجل عسكري يقول بوقاحة :

« أين تظن نفسك أيها الرجل ؟ ألن تدع هؤلاء السادة في سلام ؟ »

يزيح بيير يد العسكري الموضوعة على كتفه .

« أنا لا أحب أن يلمسني مخلوق وخاصة أنت . . »

ينفجر العسكري غاضبًا فيه :

« هل يجب أن توضع في السجن ؟ »

يرفع قبضته ، لكن في اللحظة التي يهم فيها بتصويبها تصرخ إيف :

« مكانك ! »

تتابع في حِدَّة وقد انتهزت تردد العسكري :

« الا تعرف أوامر الحاكم بالنسبة لأفراد الجنود وأن يتجنبوا الشغب ؟ »

الجندي مضطرب . وهذا يتيح لإيف فرصة التنقيب في حقيبتها عن بطاقة تقدمها له .

" شارليه - هل يعني هذا الاسم شيئًا لديك ؟ أندريه شارليه سكرتير الجيش - إنه زوجي . . »

يتطلع بيير إلى إيف في رعب .

الجندي مرتعب ، يغمغم :

« سيدتي أرجو عفوك . . »

تجيب إيف :

وهي تتخلص منه بطرف إصبعها : « هذا أكثر مما أطلبه ، والآن اذهب إذا لم تكن تريد أن يُكتب عنك تقرير . »

يحيّي الجندي وينحني ويستدير مبتعدًا . وفي اللحظة نفسها يترك بيير المنضدة غاضبًا ويبتعد في الاتجاه المضاد .

تلتفت إيف فتكتشف ابتعاده المفاجئ ومن ثَمَّ تناديه :

« بيير ! »

يستمر بيير في سيره دون أن يلتفت برأسه ناحيتها .

بعد تردد ، تواجه إيف جماعة المترفين وتقول في عنف :

« أيها الأغبياء ! أنتم مبتهجون من أنفسكم ، أليس كذلك ؟ حسنًا ، سأتيح لكم فرصة سانحة : تستطيعون أن تذيعوا خبر أني أهجر زوجي وأن لي عشيقًا يعمل بيديه . »

ثم وهي تترك المترفين تتجه لمتابعة بيير .

تترك البناية مسرعة ، تتردد لحظة ، ثم تبدأ الجري في الممر .

وسرعان ما تلمح بيير الذي يستمر في المشي في عصبية . خطواتها تتمشى مع خطواته ويظلان لحظة يمشيان صامتين جنبًا إلى جنب . لا يتطلع بيير إليها.

ثم تسال أخيرًا :

« ما الحكاية يا بيير ؟ »

يغمغم بيير:

« سكرتير الجندرمة ! »

« ليست غلطتي . . »

« وهي ليست غلطتي أيضًا . . »

ثم يُبْدي ملاحظة وهو ممتلئ مرارة :

« المرأة المناسبة لي ! »

يُبْطئ خطوته ، لكنه يظل دون أن يتطلع إلى إيف التي تقول :

« لقد قلت لهم إنني أهجر زوجي معك . نحن مرتبطان معًا يا بيير . . »

يتوقف فجأة ، يتطلع إليها لأول مرة وهو يصيح :

« مرتبطان ؟ لكن ما الشيء المشترك بيننا ؟ »

تضع يدها على ذراعه وتقول في رقة :

« إن لنا حبنا . . »

يهز كتفه في أسى :

« هذا حب مستحيل . . »

يخطو ثلاث خطوات ناحية مقعد قريب ، ثم يستدير :

« الا تعرفين ما الذي أعمل من أجله طيلة السنين ؟ أنا أُعِدُّ الصراع ضدك . . »

يجلس . لكن إيف لم تفهم :

« ضدي ؟ »

ثم ينفجر :

« أظن أنك تعرفين الحزب ؟ »

تسأل وهي تتطلع إلى بيير في شيء من الخوف كما لو كانت تكتشف رجلاً غريبًا عليها لكنه لا يرغبها .

« أنا الرجل الذي أسَّسه . . »

تلتفت إيف برأسها وهي تغمغم :

« أنا أحتقر العنف . . »

« هذه طرقنا وليست طرقكم . . »

تعلن : « أنا لم انتبه إطلاقًا إلى مثل هذه الأشياء . . »

« وهذا هو ما يفصلنا . لقد قتلت بسبب أصدقائك . وإذا لم تُتح لي فرصة الرجوع ، فسوف يذبحون كل معاونيّ غدًا . . »

تصحح له إيف برقة وهي تتناول يده :

« لكنك بسبب مقابلتك لي فقد عدت . . »

تتناعم لهجة بيير بالتدريج :

« بالطبع يا إيف : بالطبع . لكنني أشمئز من كل ما يحوطك . . »

« لم أخترها يا بيير . ليس لدينا وقت يسمح لنا بأن نشك في بعض .. »

في هذه اللحظة تسقط ورقة ميتة بينهما ، تكاد تسقط على وجهيهما . تفزع إيف وتدفعها . يبتسم بيير أمام المرأة الشابة .

« هذه ورقة . . »

« ما أغباني .. لقد ظننت .. »

« ماذا ؟ »

تعترف بصوت خفيض فيه رعشة خفيفة :

« ظننت أنهم .. »

يتطلع إليها بيير مندهشًا ثم يفهم .

« هذا حق . يجب أن يكونوا هنا . الرجل العجوز بقبعته والآخرون .. يتطلعون إلى المنظر ، كما حدث في قصر الحاكم . نحن سخريتهم الآن . »

بينما يتكلم وهو يلتفت حوله آليًا ، تلتقط إيف الورقة فتختبرها :

« ليسوا جميعهم يضحكون . هناك مخلوق واحد على الأقل علّق أملنا عليه - الرجل الذي طلب منا أن نرعى صغيرته . »

يقول بيير بعدم اكتراث : « آه ، نعم .. »

تقول وهي تنهض : « لقد وعدناه يا بيير . تعال . »

لا يتحرك بيير .

تبتسم إيف مشجعة وهي تمد يدها إليه .

« ساعدني يا بيير . على الأقل نحن لم نرجع للا شيء . »

ينهض ، يبادلها الابتسام ، ثم يأخذها من كتفيها وهو يقول :

« لقد رجعنا من أجل الآخرين .. »

تتصحه في عذوبة : « لنبدأ بشيء سهل . »

يمشيان ، الذراع في الذراع في انسجام .

(شارع فى أطراف المدينة)

شارع بائس فيه أكوام من رماد قذر .

يعبر بيير وإيف الطريق وأناس فقراء قليلون وأطفال قذرون يحملقون فيهما .

تلتفت المرأة حولها في قلق واضح . تثبت معطفها الفرو في عصبية . يحس المرء بأنها شاعرة بالعار

الشارع مليء بالقاذورات والعلب الفارغة .

امرأة عجوز ترتدي الأسمال تسحب الماء من مضخة في دلوين كبيرين تحملهما في تثاقل وظهر محني للغاية تحت ثقلهما .

أطفال قذرون ممزقو الثياب يلعبون في القاذورات .

تزداد إيف التصاقًا ببيير .

وأخيرًا ، وهما يقتربان من نسوة فقيرات الثياب يقفن صفًا أمام مخزن بدالة صغير . يعد بيير أرقام البيوت ويتوقف .

يقول : « هنا . »

بيت أشد حقارة من جميع البيوت الأخرى .

صف النسوة الفقيرات يمتد عبر الطريق الضيق ويسد مدخل الباب .

إيف محل انظار جميع الأعين . يزداد شعورها بالقلق.

يشق بيير فسحة من المكان لتمشي إيف فيها .

« عفوًا يا سيدتي .. »

ثم يجعل إيف تمضي أمامه خلال الصف ، يدخلان البيت .

(درَج بيت شارع ستانيسلاس)

يصعد بيير وإيف درَجًا متريًا قذرًا له درجات متآكلة وحيطان كالحة .

يستمران في الصعود طابقين .

تستجمع إيف كل شجاعتها ، بينما يلاحظ بيير رد الفعل عندها .

يمران برجل عجوز للغاية وجهه مجعد من الإنهاك والمرض ، يسعل وهو يهبط الدُّرَج .

تتوقف إيف لتجعله يمر . ثم يصعد بيير خطوات قليلة ويأخذ بذراعها ويساعدها على الصعود .

تبتسم له في شجاعة .

وهما يصعدان ، تتصاعد أغنية مليئة بالضوضاء من جهاز راديو ، وصوتها يزداد .

يصلان إلى الطابق الثالث . تتصاعد الموسيقى من خلال أحد هذه الأبواب التي على الطُرقة .

فتاة صغيرة جالسة على طرف درجة . تقبع قرب الدرابزين بقدر استطاعتها . تزداد به التصاقًا وكأنها تجد في هذا شيئًا من أهمية .

يقول بيير:

« لابد أن هذه هي الفتاة . »

هناك غُصّة في قلب إيف ، تنحني على الطفلة التي تحملق فيها وتسألها برقة :

« ما اسمك ؟ »

« ماري . »

« ماري من ؟ »

« ماري آستروك . »

تتبادل إيف وبيير النظرات السريعة إثر سماعهما الاسم .

ثم ينحني بيير بدوره ويسأل الطفلة :

« هل أمك في البيت ؟ »

تلقي نظرة من فوق كتفها ناحية أحد الأبواب . يتجه بيير إلى الباب ، لكن الطفلة تتبعه وعيناها تحذرانه :

« يجب ألا تدخل ، فهي مع العم چورچ . »

كان بيير على وشك أن يطرق الباب ، لكنه يتوقف وينظر إلى إيف التي تمسّد شعر الطفلة ثم يصمم على طرق الباب برقة أولاً .

لكن لمّا لم يتحرك مخلوق ، ويتابع والراديو ضجته القاتلة ، يبدأ الطرق بقبضته .

تسأل إيف وهي لما تزل تلاطف البُنيّة :

« ماذا تفعلين هنا ؟ »

لا تجيب الطفلة ، وهي توجه انتباهها ناحية بيير وهو يطرق الباب .

وأخيرًا يتصاعد صوت من الداخل :

« من هذا ؟ »

« ألا يمكن أن تفتح الباب بحق الله ؟ »

« طيب ، طيب ، لا تقلق . »

يتوقف صوت الراديو فجأة . ويسمع بيير طقطقة سرير خلال الباب .

تنهض الفتاة ، تأخذها إيف من ذراعها برقة .

(الحجرة في شارع ستانسيلاس)

وأخيرًا يُفتح الباب . يواجههم رجل مشمر القميص لا يزال يثبت حزامه . يحدّق في بيير ويصرخ :

« ماذا وراء الطَّرْق على أبواب الناس ! »

يدخل بيير الحجرة دون أن يجيب تتبعه إيف التي لا تزال تمسك البنية من يدها .

يرتد الرجل إلى الوراء ويدعهما يمران .

يدخل بيير وإيف الحجرة التي تتضح بالفقر .

هناك سرير من الحديد بجوار الحائط وهو غير منسق بجانبه سرير أطفال . وفي ركن موقد للغاز وعلى المنضدة أطباق قذرة ، وزجاجة نبيذ ملأى إلى النصف وكؤوس قذرة للغاية .

امرأة جالسة على حافة السرير وهي تجذب رداء من القطن الخفيف القذر حول جسدها.

هي مضطربة وإن كانت جريئة في الوقت نفسه .

يسألها بيير،

« هل أنت مدام آستروك ؟ »

« نعم أنا . . »

تساءلها إيف بدورها وهي تشير إلى الصبية : « هل هذه صغيرتك ؟ »

يكون الرجل قد أغلق الباب . وقد جاء وهو يقف منتصبًا في منتصف الحجرة بجانب المرآة . يجيب :

« هل هذا يعنيك ؟ »

أجاب بيير في برود : « إن الأمر يعنيني .. » ثم يلتفت إلى المرأة ثانية ويصر :

« أنا أسألك هل هذه هي ابنتك ؟ »

« نعم ، وبعد ذلك ؟ »

تسأل إيف :

« ماذا كانت تفعل على السلم ؟ »

« اسمعي يا عزيزتي .. أنا لم أسألك كيف حصلت على فراشك ، لكن يجب أن تعرفي أنه عندما تكون لك حجرة واحدة فعليك أن تضعي الصغار خارجًا أحيانًا .. »

تجيب إيف :

« هذا رائع ، فإذا كانت هي عقبة في طريقك ، فقد جئنا لأخذها . نحن أصدقاء لأبيها . »

وفي هذه اللحظة تتطلع الصغيرة إلى إيف ويشرق وجهها .

تسأل المرأة في اضطراب :

« تأخذين من ؟ »

تقول إيف :

« الطفلة . . »

يخطو الرجل خطوة ناحيتهما وهو يشير إلى الباب .

« أعرف أنك سوف تغلقه وراءك وفي الحال . . »

لكن بيير يستدير إلى الرجل وهو يقول :

« أنصحك أن تكون مؤدبًا . تأكد أننا سنخرج من هنا، لكننا سنخرج ومعنا الطفلة . . »

تكرر المرأة :

« ومعك الطفلة ؟ هل معك نقود ؟ »

تنقّب إيف في حقيبتها وتتجه ناحية المنضدة وتضع عليها رزمة من الأوراق النقدية .

تقول :

« أعتقد أن هذه تكفي . . »

تعقد الدهشة لساني الرجل والمرأة لحظة ، لقد خدرتهما رؤية الأوراق النقدية ، وخاصة المرأة . حتى الطفلة تنحني في فضول على المنضدة .

كان الرجل أول من أفاق إلى نفسه .

يأمر الطفلة في حركة فجائية :

« تعالي هنا . »

تستدير الطفلة وتجري حول المنضدة للاختباء خلف بيير الذي يأخذها في الحال بين ذراعيه .

وفي الوقت نفسه تكون المرأة قد التقطت النقود وهي تقول :

« تناسَ هذا يا جورج . هذا أمر يتعلق بالبوليس . »

يقول بيير ساخرًا : « هذا حق . اذهب واستدعهم . »

ثم يضيف وهو يستدير إلى الرجل الذي يدس النقود في جيبه :

« لا تضيعها . تستطيع أن تنفقها عندما تشكو الحَاجَة »

ثم يومئ إلى إيف ويمضيان وهما يأخذان الطفلة معهما .

(كوخ فى الضواحى)

يلتفت بيير وإيف عند بوابة حديقة في الضواحي قبل أن يمضيا . يبتسمان وهما متأثران ، ويلوحان بالأيدي وداعًا .

إيف تصيح للمرة الأخيرة :

« وداعًا يا ماري .. »

وهناك عند خلفية الحديقة الأنيقة الصغيرة تقف امرأة ضخمة طيبة في فتحة الكوخ وهي تمسك الصغيرة ماري في يدها . من الواضح أن الطفلة قد اخذت حمامًا .

وهي الآن ملفوفة في بشكير حمام كبير .

شعرها لم يزل مبللاً ، وقد ربط بشريط .

تبعد يد المرأة لتلوح في سرور وقوة .

« وداعًا . »

حركاتها المليئة بالحيوية تفك البشكير الذي يسقط على الأرض وقد ترك الصغيرة عارية تمامًا .

تضحك المرأة وهي تلتقط البشكير وتلفه حول كتف الطفلة في حركة مليئة بالحنان .

يضحك بيير وإيف ويتبادلان النظر .

تقول إيف :

« حسنًا ، لقد نجحنا أخيرًا في هذه المهمة . . »

تفكر لحظة وتضيف :

« إذا استمر كل شيء حسنًا ، فسنظل هنا . . »

يؤكد لها بيير :

« كل شئ سيجري رائعًا . . »

يتناول ذراعها وهو يقودها ناحية سيارة أجرة كانت تقف أمام البوابة ، يدير السائق المحرك وهما يقتربان.

لكن أثناء ذلك ، توقف إيف رفيقها وتقول مخاطبة الفضاء :

« إذا كنت الآن تراقبنا فيجب أن تكون راضيًا . إن ابنتك بين أيدي أناس عطوفين .. »

وفي هذه اللحظة ينتبهان إلى النظرة المُحيِّرة القلقة التي تعلو وجه السائق . يتبادلان نظرة مليئة بالمتعة ويدخلان التاكسي .

(شارع ومنزل بيير)

يتوقف التاكسي أمام البيت حيث يعيش بيير في شارع متواضع لكنه نظيف أنيق.

تخرج إيف وبيير من التاكسي.

وبينما يدفع الأجرة تتفحص المرأة البيت .

يشير بيير :

« هناك ، الدور الثالث . النافذة الثانية إلى اليسار . »

تتجه ناحية بيير وهو يمد لها مفتاحًا يُخْرجه من جيبه :

« ها هو المفتاح . »

تنظر إليه في دهشة :

« الن تاتي ؟ »

يشرح في قلق :

« إيف ، عليّ أن أرى أصدقائي . عندما كنت .. في العالم الآخر ، علمت أشياء معينة . لقد غُدر بنا .. يجب أن أذهب وأحذرهم . »

« هل تعني الآن ؟ »

« غدًا سيكون الوقت قد فات . »

« كما تشاء . »

« عليّ أن أذهب يا إيف .. » يظل صامتًا لحظة ثم يضيف في بسمة قلقة :

« وبجانب هذا ، أفضل أن تصعدي بمفردك .. »

« لماذا ؟ »

« أنتِ تعرفين أنه لا يشبه بيتك في شيء .. »

تبتسم إيف ، تتجه ناحيته وتحتضنه وهي تسأله بمرح:

« أقلت الدور الثالث ؟.»

يقول وقد خُفِّف عنه : « الباب الذي على اليسار . »

تتجه ناحية البيت وهي تفتح .. بيير واقف يرقبها ويسألها برقة :

« عندما تصلين ، لوّحي لي من النافذة . »

تشير إشارة الموافقة وهي مسرورة وتدخل البيت .

(حجرة بيير)

تدخل إيف الحجرة. تغلق الباب وراءها وتتلفت حولها. ترى غرفة متواضعة ، لكنها نظيفة ومنظمة ومريحة نسبيًا .

هناك غرفة استقبال صغيرة وراء ستارة ، ووراءها مطبخ في حجم منديل الجيب .

لم تتأثر إيف وهي ترى المكان الذي ستعيش فيه . سرعان ما تنتبه لنفسها .

تتجه إلى النافذة وتفتحها .

(الشارع ومنزل بيير)

بيير على الجانب الآخر من الطريق أمام البيت يقطعه جيئة وذهابًا في عصبية .

تبدو إيف في النافذة وتناديه في مرح :

« رائع يا بيير ! »

يبتسم ، وقد خُفف عنه نوعًا ما :

« هل تعنين هذا حقًا ؟ »

تصر : « رائع تمامًا . . »

ثم يلوح بيير ويصيح :

« سأراك فيما بعد . . »

ثم يمضي سريعًا .

(حجرة بيير)

إيف تتابع بيير بأنظارها بضع دقائق وهو يختفي ، ثم تستدير إلى الحجرة .

يفارقها مرحها .

تخطو وتضع حقيبتها جانبًا في فتور .

تسترعي انتباهها فجأة صورة فوتوغرافية في مكان ظاهر على المكتب .

هي صورة امرأة عجوز متواضعة للغاية وشعرها مبيض وقد وضعت الصورة في إطار ، هي أُمُّ بيير .

بجانب الإطار زهرية صغيرة مليئة بالزهور الذابلة .

تتجه إيف إلى الصورة وتظل مدة طويلة تتطلع إليها في عاطفة .

تُخْرج الزهور الذابلة من الزهرية . ثم تستدير وقد انتعشت روحها وهي تخلع معطفها في الوقت نفسه .

(شارع المتآمرين)

وصل بيير إلى البيت الذي تُعقد فيه الاجتماعات ..

بعد أن يلقي نظرة سريعة حوله ، يدخل .

(الدَّرج المؤدى إلي المتآمرين)

يصعد بيير الدرج بسرعة . وعندما يصل أمام باب الغرفة يطرق على الباب حسب إشارتهم المتفق عليها وينتظر .

وإذ لا يتحرك أحد في الداخل ، يطرق الباب ثانية وهو ينادي من وراء الباب :

« أنا دومين . »

(حجرة المتآمرين)

يُفتح الباب . الشخص الذي يفتحه ليس إلا العامل الذي نصح باولو أن يتبع بيير عندما « عاد إلى الحياة » . تتجنب عيناه عينيّ بيير ويتنحى جانبًا ليجعله يمر .

يلتقط بيير أنفاسه قليلاً وهو يحيِّي في سرعة :

« سلام .. »

ثم يدخل الغرفة وهو يتجه إلى زملائه . يجلس ديكسون ولانجلوا ورينودل وبولين حول المنضدة .

يقف باولو وراءهم مستندًا إلى المدفاة .

يتابع العامل بيير في بطء بعد أن يغلق الباب .

جميعهم له مظهر الكئيب ، لكن بيير لا يلمح في الحال نظراتهم المتصلبة المتشككة .

يقول في نغمة قلقة : « لقد حدث شيء . يجب ألا نثور غدًا . لن يكون هناك تمرد . »

يتلقى الآخرون هذه الأخبار دون كلمة .

يقول ديكسون ببساطة :

« آه ! »

ينحني بولين برأسه على كأس النبيذ . يشرب في جرعات صغيرة . يترك باولو مكانه لدى المدفأة دون أن يلقي نظرة نحو بيير ويتجه إلى النافذة .

بيير قلق .

ولأول مرة يلاحظ أن زملاءه يتطلعون إليه بطريقة شاذة .

يعلن لهم : « أنتم تبدون بالتأكيد غريبين . »

يحاول أن يبتسم لكنه لا يلتقي إلا بوجوه متوترة متحجرة ومن ثَمَّ تتلاشى بسمته .

ثم يواصل الحديث :

« لقد اكتُشف أمرنا . وهم يعرفون كل شيء . لقد أحضر الحاكم فرقتين وفيلقًا من الجيش لتعزيز القوات . »

يقول ديكسون ببرود :

« شيء جميل للغاية . لكن من الذي جعلك تلمُّ بكل هذا ؟ »

يجلس بيير على الكرسي ويزمجر :

« لا أستطيع أن أخبركم .. »

يتكلم لانجلوا بدوره :

« لن يكون شارليه على أي حال ؟ »

بيير يبدي حركة انذهال :

« مَنْ ؟ »

« لقد كنت في بيته هذا الصباح . كنت مع زوجته طيلة ما بعد الظهر . »

يقول بيير:

« آه ! تناسَ هذا . فلا دخل لهذه الزيارة في هذا الموضوع . »

لكن رينودل يقول في عناد :

« أعتقد أن لنا الحق أن نسألك ، ماذا تفعل مع زوجة سكرتير الجيش في نفس مساء مثل ذلك اليوم ؟ »

ينهض بيير واقفًا وينظر إليهم في ثبات : الواحد بعد الآخر :

« إن إيف زوجتي . »

ينهض ديكسون وهو يضحك ضحكة جافة مقتضبة . بينما يحملق الآخرون في بيير بوجوه متجهمة . ينفجر بيير غاضبًا وقد أذهلته ضحكة ديكسون :

« بحق الله ليس هذا وقتًا مناسبًا للضحك . لقد قلت لكم إن أمرنا قد انكشف . فإذا نحن ثرنا غدًا

فستكون مذبحة وينتهي الحزب . وأنت تكلمني عن زوجة شارليه ! »

يضع يديه في جيبيه وهو يهز كتفيه .

بينما بيير يتكلم ، يتحرك ديكسون في صمت حول المنضدة وهو الآن يقف مواجهًا بيير .

يقول :

« أصغ إليّ يا دومين ، في هذا الصباح كنت تطلق صيحتك : غدًا هو اليوم ! ولقد غادرتنا . وأطلق مجهول عليك النار . وربما يكون قد استعمل خرطوشًا لكي يمثل ، ربما كان نفس الأمر ، حسنًا ...»

يخرج بيير يديه من جيبيه ويصفي ، أسنانه تصطك ، ووجهه يضطرم غيظًا .

يستمر ديكسون :

« لقد نهضت ، وتخلصت من باولو الذي أراد أن يمضي معك ، واتخذت طريقًا لولبيًا إلى بيت شارليه. وأنت الآن تأتي إلى هنا ومعك ادعاءاتك وتتوقع منا أن نصدقك ! »

يصيح بيير :

« آه ! الأمر هكذا ! لقد عملت معكم خمسة أعوام ؛ والحزب ، ألست أنا الذي أنشأ الحزب ؟ .. »

يقاطعه رينودل بعنف وقد نهض من أمام المنضدة :

« ليكن هذا . نحن لا نريد أن نعرف تاريخ حياتك . نحن نريد أن نعرف ماذا كنت تفعل في بيت شارليه ؟ »

يقوم بولين في هذه اللحظة بدوره :

« وماذا كنت تفعل في المتنزه ؟ »

ويدلي لانجلوا بدلوه وإن كان أشد خجلاً من الآخرين، فيقول في لهجة رقيقة :

« ثم مضيت واستوليت على طفلة في شارع ستانسيلاس » .

ويصرخ ديكسون :

« لقد هددك بالبوليس . وقفزت بألف فرنك في وجهك . فأين دفاعك ؟ نحن منتظرون . »

ينظر إليهم بيير الواحد بعد الآخر . يستغرقه هذا التدفق من الاتهامات ويشعر بعجزه عن إقناعهم .

« لا أستطيع أن أشرح . أقول لكم إنه لا تمرد غدًا ، هذا كل ما هناك . »

يصر ديكسون :

« الا تريد أن تجيب ؟ »

ينفجر بيير:

« عليك اللعنة ، قلت لك لا أستطيع . وحتى لو كنت استطيع ، ألست أنا زعيمك ؟ »

بعد أن يتبادل ديكسون النظرات المتسائلة مع زملائه يقول :

« لم تعد زعيمنا يا دومين .. »

ينفجر بيير في بسمة ساخرة :

« أنت سعيد أن تقول هذا ، أليس كذلك يا ديكسون ؟ أخيرًا ستحل مكاني .. »

ثم ينفجر فجأة في غضب :

« لكن أيها البله المساكين ! ماذا تظنون ؟ .. هل أنا أبيع الحزب ؟ »

ينظر إليهم غاضبًا منقّلاً نظراته من وجه إلى آخر .

« وفوق هذا أنتم تعرفونني .. وأنت يا باولو .. »

ينظر باولو إلى الأرض ويبدأ يذرع الحجرة ، كما كان يفعل منذ البداية .

يستمر بيير:

« ومن ثَمَّ ففي الأمر خيانة ؟ حسنًا ، فلتعتقدوا ما تشاؤون ، لكنني أخبركم ، إذا ثرتم غدًا ، فستكون مذبحة ، وستكونون مسئولين . »

يقاطعه ديكسون ببرود دون ما غضب :

« هذا يكفي يا دومين . اخرج . . »

يدير الواحد منهم بعد الآخر ظهره لبيير ، لكن رينودل مازال لديه ما يقوله :

« وإذا حدث أمر جلل غداً ، فسنعرف كيف نجدك . . »

والآن ، يبتعدون عنه جميعًا ويقفون جماعة لدى النافذة . بيير وحيد في منتصف الحجرة .

يقول أخيراً :

« حسنًا، فلتُذبحوا غدًا جميعكم، إن كان هذا يسركم. لا تعتقدوا أني ساشفق عليكم مثقال ذرة . . »

يتجه إلى الباب ، لكن قبل أن يصل إليه ، يستدير وينظر إلى زملائه :

« أنصتوا أيها الزملاء .. »

لكن الزملاء الستة يظلون وظهورهم نحوه ؛ بعضهم يتطلع من النافذة والآخر ينظر إلى الفضاء .

ثم يخرج وهو يدفع الباب بغضب وراءه .

(حجرة بيير)

إيف مشغولة بترتيب باقة من الورود في زهرية . تقاطعها طَرَقات متلاحقة عديدة . تذهب لتفتح

الباب . بيير وجهه مكتئب . تبتسم له . يبذل مجهودًا ليبتسم بدوره . ثم ينظر إلى الحجرة ويقطّب حاجبيه. يلج الحجرة التي أصابها تعديل .

لم تفعل إيف شيئًا سوى أنها نثرت الورود ؛ ووضعت ستائر على النوافذ ؛ ووضعت أباجورة على المصباح القديم ، وغطاء أنيقًا على المنضدة ، يضاء النور الكهربائى رغم أن الليل لم يخيّم بعد .

إيف تتبع بيير وهي ترقب رد الفعل عنده . يقول بيير مغمغمًا في غباء :

« ماذا فعلت ؟ »

يتجه إلى المنضدة ويلمس وردة من الورود في الزهرية، ثم يخدشها بعصبية بظفر إصبعه.

يذهب إلى النافذة ويتحسس الستائر .

تغيم على وجهه سحابة ، يقول وهو يستدير :

« لا أريد أن يصيبني نفع من نقودك . »

تعاتبه إيف وقد خاب ظنها :

« بيير ! هذه حجرتي أنا أيضًا . »

« أنا أعرف .. »

ينظر من النافذة شاردًا وهو ينقر على لوح الزجاج . تتجه إيف ناحيته وتسأل :

« هل قابلت أصدقاءك ؟ »

يجيبها في اكتئاب دون أن يلتفت إليها :

« لم يعد لي أصدقاء .. لقد نبذوني يا إيف . »

« لماذا ؟ »

« لقد دبرت الثورة ضد الحاكم غدًا - وكانت هي الضربة القاضية . ذهبت لأخبرهم أنهم أعدوا لنا كمينًا وأننا يجب الا نثور ، فظنوا انني خائن . »

تصمت إيف صامتة .

يضيف بيير وهو يضحك ضحكة قصيرة جافة .

« لقد رأوني معك ، وهم يعرفون زوجك ، هل تبينت الأمر ؟ »

يستدير بيير على عقبيه فجأة . وجهه مكتئب ينذر بالخطر .

بعد تردد يسير يتجه ليغلق النور ، يفتح درج مكتبه ويخرج مسدسًا ، يضعه في جيب معطفه دون أن يسحب يده . ثم يتجه إلى الباب ، يوقف إيف بإشارة من يده وقد بدأت تتحرك ناحيته وهو يقول بصوت خفيض :

« لا تقفي أمام الباب . »

وعندما تتنحى خطوة يفتح بيير الباب . فجأة يتبين باولو .

يقول :

« آه ! هذا أنت ؟ ماذا تريد ؟ »

لا يجيب باولو في الحال .

نفسه متقطع ، ويبدو أنه يتغلب على انفعالاته .

يسأل بيير في تحجُّر : « ماذا تفعل في بيت رجل خائن مرتشٍ مثلي ؟. »

وإذ يظل باولو صامتًا ينفجر :

« انطق ، ألا تستطيع ؟ »

« عليك أن تخرج يا بيير . إنهم آتون . سيطلقون النار عليك . »

« هل تعتقد أنت أنني مرتشٍ ؟ »

يجيب باولو :

« لا أعرف ، لكن اذهب يا بيير ، يجب أن تذهب . »

يتفكر بيير لحظة ثم يقول :

« وداعًا يا باولو .. وشكرًا . »

يغلق الباب ثانية ، يتجه إلى المكتب الذي أخرج منه المسدس . إيف مستندة إلى الجدار في غبش النهار يمكن لكل منهما أن يرى الآخر في وضوح .

يقرر : « يجب أن ترحلي يا إيف . لقد سمعت ما قال. لا يمكنك أن تظلي هنا . »

تبدأ إيف في الضحك :

« وأنت ؟ هل ستأتي معي ؟ »

يقول وهو يعيد المسدس إلى الدرج : « كلاً »

« يا عزيزي بيير المسكين. إذًا، فسوف أبقى أيضًا . »

« يجب الا تبقي . »

« إلى أين تريدني أن أذهب ؟ »

يقترح بيير : « عند لوسيت ؟ »

تهز كتفيها وتتجه في بطء إلى المنضدة وهي تقول :

« لست خائفة من الموت يا بيير . فأنا أعرف ما هو .»

تنحني على زهرية الورد وتسحب وردة وتضعها في شعرها .

ثم تواصل : « وبجانب هذا ، إننا سوف نموت على أي حال ، أليس كذلك ؟ »

يؤخذ بيير:

« لماذا ؟ »

« لأننا قد فشلنا .. »

تتجه ناحية بيير وتتناول ذراعه :

« اعترف يا بيير اعترف .. إنك لم تُرِدْ أن تعيش من أجلي . كان هذا من أجل ثورتك . وفي الوقت الذي لا يكون فيه رصاص . لا تعبأ بأن تموت . أنت تعرف أنهم آتون لقتلك ، وأنت تظل باقيًا . »

«وأنتِ؟ أما كانت لوسيت هي سبب عودتك للأرض ؟»

تسند راسها على صدر بيير ، وبعد صمت قصير تغمغم :

« ربما .. »

يأخذها بين ذراعيه .

يقول : « لقد ضعنا يا إيف . ليس لدينا ما نفعله سوى أن ننتظر » .

ثم يرفع عينيه :

« انظري .. »

« ماذا ؟ »

« كلانا »

تلاحظ في هذه اللحظة صورتهما المزدوجة منعكسة على المرآة .

يقول :

« هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي سنرى فيها بعضنا في مرآة . »

ثم يضيف وهو يبتسم لصورتهما :

« إنها صورة رائعة .. »

يتصلب وجهه وهو يتوتر بالدهشة . دون أن ينبس بكلمة ، تتجه إيف إلى السرير وهي شبه منحنية ، وصدرها مُستلق عليه . تستند إلى يديها . تظل هكذا منتظرة بيير وفيها انفعال عبارة عن مزيج من القلق والاضطراب .

يقترب بيير منها متوترًا .

هو الآن واقف بجوار السرير . تستلقي على ظهرها ويداها على جانبَيّ رأسها . عيونها واسعة. ينحنى بيير عليها ويداه إلى جانبه . ثم يخفض نفسه في بطء . لكن إيف تدير رأسها في تقاعس ، يدفن رأسه في عنقها .

لا تتحرك ، عيونها الواسعة تحملق في السقف الذي ينضح وفي مصباحه الرخيص في منتصفه . ترى في لمحة المنضدة وعليها الورود ومقدمة الأدراج وصورة أم بيير والمرآة ثم السقف مرة أخرى .

وفجأة يطبق بفمه على فمها في شبه عنف .

تغلق عينيها لحظة قصيرة ، ثم تفتحهما ثانية ، وهما مفتوحتان عن آخرهما وتحملقان .

لقد أمسكت يدها بساعد بيير في حركة دفاع . ثم تنساب اليد وترتفع حتى الكتف ثم فجأة تعانقه بعنف.

ودفعة واحدة ينفجر صوت إيف في صيحة انتصار وخلاص :

« أحبك ! »

وفي الخارج يكاد ضوء النهار يختفي كلية

• • •

ثم ، إنه في الصباح ، والضوء يتدفق من خلال النافذة ، يأتي بيير من حجرة الاستقبال . وهو مُرتدٍ قميصه مشمرًا إياه وهو يجفف وجهه بمنشفة .

يقول فجأة :

« إنهم لم يأتوا . »

تجيبه في تأكيد وقد أنهت تسريح تمشيط في المرآة :

« لن يأتوا . . »

يسأل وهو يمسكها من كتفيها : « وهل تعرفين السبب؟ »

تنظر إليه في حنان :

« نعم ، عندما طرقوا الباب كنا قد أحببنا بعضنا . . »

يستمر :

« لقد مضوا لأن لنا الحق في أن نحيا . . »

تغمغم وهي تزداد به التصاقًا : « لقد انتصرنا يا بيير. »

يظلان هكذا لحظة . ثم تسأل :

« كم الساعة الآن ؟ »

ينظر بيير إلى المنبه . الساعة تشير إلى التاسعة والنصف .

« سينتهي كل شيء في خلال ساعة .. »

تبتسم ، تجبره على أن يستدير ناحية المرآة التي تنعكس فيها صورتهما .

« نحن هناك . . »

« نعم . »

« بيير .. ماذا سنفعل بهذه الحياة الجديدة ؟ »

« اللعنة ، نفعل ما نشاء . نحن لا ندين بشيء لمخلوق الآن . »

وبينما هما يتبادلان الكلمات ، تُسمع ضجة ثابتة تزداد في الخارج ، وهي فرقة بأكملها بمصفحات وجرارات مع المشاة .

يصغي بيير .

تراقبه إيف دون أن تتكلم لكن في استيعاب لحالته .

ثم تسأل فجأة :

« هل أنت آسف على رفاقك ؟ »

« وأنتِ .. هل أنت آسفة على لوسيت ؟ »

تقول بحزم :

« كلاً . »

ثم وهي تتشبث بذراعه تكرر السؤال بعصبية :

« وأنت ؟ »

يهز بيير رأسه بعنف :

« كلاً . »

يخلص نفسه ، يخطو قليلاً ويقترب من حافة النافذة.

يصغي وهو متوتر إلى ضجة الفرقة الماشية ، والتي أخذت تقترب وتقترب .

« لقد استغرقت وقتًا طويلاً . لابد أن هناك الكثيرين منهم .. »

تتجه إيف إليه ، وتأخذ بذراعه وهي تتضرع :

« لا تتصت يا بيير .. نحن وحيدان في العالم .. »

يجذبها إليه في عصبية وهو يكرر :

« نعم نحن وحيدان في العالم . . »

يرتفع صوته مشبعًا بالعاطفة ليغطي على صوت وقع أقدام الفرقة وضجة المصفحات .

« سنخرج . سأدبر لك نقودًا . سأكون سعيدًا أن اعمل من أجلك وسوف تحلّين محل الرفاق والحزب والثورة . لم أترك شيئًا عداك ، أنت وحدك . . »

يكاد يصيح بهذه الكلمات الأخيرة ، غير أن صوت الجيش الزاحف يطغى على صوته .

وفجأة يخلص نفسه وهو يصيح :

« لكنهم لا يتوقفون ؛ إنهم لا يتوقفون ! »

تئن إيف :

« أتضرع إليك يا بيير . فكر فينا فحسب . بعد ساعة . »

يزيح الستار وهو يتطلع إلى الخارج :

« وهناك آلاف منهم . ستكون مذبحة . . »

يستدير ، يتجه في عصبيته إلى السرير ويجلس عليه . ورأسه بين يديه .

تدرك إيف الآن أنه لا يمكن أن يوقفه شيء ؛ لكنها تخاطبه ثانية :

« بيير ، لقد أهانوك . لقد أرادوا قتلك . أنت لم تعد تدين لهم بشيء . . »

تتضرع إليه وهي تركع أمامه :

« أنت تدين بشيء لي . . »

يصغي إلى الضجة في الطريق ويجيب وهو شارد :

« نعم .. »

ثم بعد لحظة صمت قصيرة ، يتخذ قراره :

« عليَّ أن أذهب .. »

تنظر إليه إيف في رعب :

« لقد عدت إذًا من أجلهم .. »

يؤكد لها « كلاً ، كلاً ، كان هذا من أجلك . »

« حسنًا ، إذًا ؟ »

يهز رأسه يأسًا ، لكن في همود يقول :

« لا أستطيع أن أجعلهم يفعلونها . »

وبحركة فيها تصميم ينهض ويخطف معطفه من فوق ظهر المقعد ، وهو يرتديه يتجه ثانية إلى النافذة .

تتولاه حمّى الثورة مرة ثانية . هو قلق ، لكنه في الوقت نفسه مبتهج .

تقول :

« بيير ، نحن لم نكسب بعد . لم تعد لنا إلا ساعة على الأكثر .. »

يلتفت إليها وهو يمسكها من كتفيها :

« هل تحبينني ! إذا سمحت لهم بأن يُذبحوا ؟ »

« لقد فعلت ما في مقدورك . »

« كلاً على الإطلاق . أصغي إليّ : هناك اجتماع لرؤساء اللجان في خلال نصف ساعة ؛ وأنا ذاهب . سأحاول أن أوقفهم . ومهما قرروا ، فسأعود إليك قبل العاشرة والنصف . سنذهب بعيدًا يا إيف ،

سنترك المدينة . إذا كنت تحبينني فدعيني أذهب وإلا فلن أقدر أن أتطلع إلى وجهي مطلقًا في المرآة مرة ثانية . . »

تتعلق به في يأس :

« هل ستعود ثانية ؟ »

« قبل العاشرة والنصف . . »

« هل تقسم ؟ »

« أقسم . . »

يتجه إلى الباب . لكنها توقفه ثانية ، ثم تقول :

« اذهب ! اذهب يا بيير ؛ وهذا خير برهان أعطيك إياه دليلاً على حبي . . »

يأخذها بين ذراعيه ويقبلها ، لكن من الواضح أن أفكاره في مكان آخر .

وعلى أي حال توقفه فكرة :

« هل ستنتظرينني يا إيف ؟ »

تبدأ فتقول : « نعم ، أنا .. » ثم تغير فكرها فجأة وتقول في اضطراب خفيف :

« كلاً .. سأحاول أن أرى لوسيت . تلّفن لي هناك . . »

يقبلها ثانية ويسرع إلى الباب . تقول ثانية برقة :

« اذهب الآن .. لا تنسَ ما أقسمت عليه لي . »

بعد أن يتركها بيير تتجه إلى المكتب ، تفتح الدرج ، تخرج مسدس بيير ، تتجه إلى المنضدة لتأخذ حقيبتها حيث تدس المسدس وهي تغادر المكان .

في اللحظة التي تهم بالخروج من الباب تغير رأيها ، تعود وتنحني على السرير غير المنسق ، تلتقط الوردة التي كانت قد وضعتها في شعرها في الأمسية السابقة .

(أمام منزل بيير)

يبدو بيير أمام البيت ، وهو يدفع دراجته . قبل أن ينطلق يلقي نظرة سريعة على الطريق من الناحيتين . تقع عينه على ساعة ضخمة يشير عقربها إلى العاشرة إلا الثلث .

يدير دراجته فى الطريق ويقفز عليها وهو يبدّل .

وعلى مبعدة عشرين ياردة ، يبدو لوسيان ديرجيو في مدخل باب مختبئًا يرقب خروج بيير. معه أيضًا دراجته .

ينحني للأمام ، وعندما يتأكد أنه لم يره ، يمتطي هو أيضًا الدراجة ويتبع بيير .

(خارج غرفة بيير)

تبرز إيف من الحجرة ، تغلق الباب وتبدأ في هبوط الدَّرَج مسرعة .

(شارع)

شارع منحدر للغاية ، بيير يطير بأقصى سرعة ولوسيان ديرجيو في أعقابه .

(في بيت أسرة شارليه)

تولج يد إيف مفتاحًا في القفل وتديره بحذر .

ينفتح الباب في بطء ويفضي إلى الصالة . وجه إيف متوتر كئيب يبدو في فتحة الباب .

تتأكد أن القاعة خالية تمامًا ، ثم تدخل وتغلق الباب الأمامي في هدوء وتتجه ناحية باب حجرة الاستقبال في نهاية الدهليز . وهي تمر لا تنتبه إلى صورتها المنعكسة في المرآة .

تقف لحظة وهي تصغي . ثم تفتح الباب بحذر .

ترى أندريه ولوسيت متلاصقين على الأريكة .

يرتدي جاكتة رمادية وهي ترتدي رداء للخروج .

يتناولان طعام الإفطار في جو من الألفة . يبدو أن أندريه يقوم بلعبة يعلم وحده مدى خطورتها . لكن ربما لم تكن لوسيت غير مدركة بها تمامًا .

تنزلق إيف إلى الحجرة وهي تغلق الباب في ضجة كبيرة .

يوقظ الصوت أندريه ولوسيت من الاسترخاءة الممتعة التي كانا يستمتعان بها . يديران عيونهما تجاه الباب ويجفلان . يشحب وجه أندريه ، تعتدل لوسيت في وقفتها دفعة واحدة ، يظلان صامتين دون حراك كما لو كانا مصعوقين .

تتجه إيف مباشرة ناحيتهما بخطوة ثابتة ، عيناها مسددتان للأمام . ينجح أندريه أخيرًا في الوقوف .

تقف إيف على مبعدة خطوات قليلة من الاثنين :

« نعم يا أندريه ، هذا أنا . »

يتساءل أندريه :

« كيف تجرئين ؟ »

دون أن يبدو على إيف أنها سمعته ، تتداعى على كرسي ذي مسندين .

تواجهها لوسيت دون أن تقدر أن توجه لها كلمة وقد ظلت جالسة .

وفجأة يبدأ أندريه في الاتجاه نحو زوجته كما لو كان يريد أن يقذف بها خارج البيت .

ثم تُخْرج إيف في حركة مفاجأة مسدس بيير من حقيبتها وهي تصوبه إلى أندريه وهي تقول :

« مكانك . . »

تصيح لوسيت مذعورة :

« إيف ! »

يتوقف أندريه مترددًا أي موقف يتخذه ، فتكرر إيف :

« قلت لك مكانك . . »

ثم تضيف وقد وقفت لوسيت بدورها أخيرًا :

« كلاً يا لوسيت كلاً . إذا اقتربت أكثر من هذا فسأطلق النار على أندريه . . »

تجلس لوسيت مذعورة . يستدير أندريه ويتخذ وضعه السابق بجانب الفتاة .

تظل إيف محتفظة بالمسدس في يدها وهي تسنده على حقيبتها .

تقول :

« يا عزيزي بيير المسكين ، ليس لديّ ما افقده ، أنا انتظر مكالمة تليفونية وهي ستقرر مصيري . لكن إلى أن تتم سنتحدث قليلاً أنت وأنا أمام لوسيت . أنا انوي أن أخبرها بقصة حياتنا ، أو بمعظم ما أعرفه

منهــا . واقــسم لـك أنك لو حــاولت أن تكذب ، أو لم انجح فـي أن اجــعلهــا تنفــر منك ، انني ســأفــرغ مسدسي فيك . »

يجد أندريه صعوبة في أن يبلع ريقه .

لوسيت في حالة هلع .

تسأل إيف :

« هل توافقان كلاكما ؟ »

وإذ لا يتلفظ أحدهما بكلمة ، تضيف :

« إذًا فـسـوف ابـدأ . منذ ثمــاني سنوات . لقـد بددت ثروة أبيك يا أندريه وأخـذت تبـحث حـولك عن زوجـة غنية .. »

(مخبأ المتآمرين)

هذا المخـبـأ عبـارة عن مـرآب فـارغ قـائم في أطراف المدينة . يتـجمع فيـه أكثـر من ثلاثين شـخـصًـا وهم وقوف ووجـوههم تتطلـع إلى ديكسون ولانجلوا اللذين اعتليا ظهر سيارة قديمة ليس لها عجلات .

ديكسون على وشك الانتهاء من تحليل الموقف :

« وهذه يا إخواني هي التعليمـات النهائيـة : ستـذهبون لتــحــتلوا مــواضــعكم بأســرع مــا يمـكنكم وتنتظروا الأوامر، وفي خلال عشرين دقيقة ستبدأ الثورة . »

ينصت الرجال في توتر . كلهم عمال ومعظمهم في حوالي الثلاثين .

عندما يتوقف ديكسون عن الكلام ، يكون هنالك صمت أولاً ، ثم تتفجر عدة أصوات :

« ودومين ؟ »

« لماذا لم يحضر دومين ؟ »

« هل حقيقي إنه مرتشٍ ؟ »

يرفع ديكسون كلتا يديه ليصمتوا :

« أيها الرفاق ، سأحدثكم من هو بيير دومين .. »

بجانب طريق مجهول، يكون بيير قد وصل إلى المخبأ. يقفز من فوق الدراجة بسرعة ، ثم يتجه إلى باب المرآب .

يتبين أن الباب مغلق من الداخل .

يدور حول آخر المخبأ ، ويقفز على سور حديقة صغيرة قاحلة ويختفي .

على مبعدة ، لوسيان ديرجيو يراقبه . مجهد ويتصبب عرقًا .

عندما يختفي بيير يتردد لحظة ثم يبدأ الجري في الاتجاه المضاد .

يقفز بيير في حديقة أخرى ، فيزعج بعض الكتاكيت التي لم ينبت لها ريش بعد ، ثم يقف بجانب نافذة على ارتفاع ياردات قليلة من الأرض .

ينجح في أن يرفع نفسه إلى النافذة ويستطيع أن يرى ما يدور بداخلها .

لا يزال ديكسون يتحدث :

« إننا محظوظون للغاية أننا اكتشفنا حقيقته في الوقت المناسب . لم يستطع أن يمدنا بأدنى تفسير وفضّل أن يختفي . . »

بجانبهم ، يلعلع صوت بيير :

« ليس هذا حقيقيًا . . »

وفي حركة واحدة ، تتجه كل الوجوه ناحية النافذة ، فيرى المتآمرون المندهشون بيير وهو يتسلق النافذة معلقًا على الحافة ثم يسقط على قدميه في الداخل على الأرض .

يتجه بيير بسرعة إلى جماعة المتآمرين . يتراجعون للوراء ليفسحوا له .

يتجه بيير إلى العربة القديمة التي في وسط المخبأ حيث يقف ديكسون ولانجلوا .

وهناك يستدير ويداه في جيبيه ، لكنه يقف شامخًا ، عالي الرأس ويبدأ يتكلم .

« ها أنذا أيها الرفاق . نعم ، هنا الخائن ، الرجل الذي باعكم وأدار لكم ظهره بعد أن قبض من الحاكم . »

يخطو خطوات قليلة وسط المتآمرين وهو ينظر إليهم في وجوههم .

يقف وبعد لحظة يتابع :

« قولوا لي ، من هو الذي كان دائمًا يشجعكم عندما كان كل شيء يسوء ؟ من الذي كوّن الحزب ؟ من الذي ظل عدة سنين يقاوم الحاكم العسكري ؟ »

يرتد بيير ثانية إلى السيارة القديمة ولم يزل يتكلم ، ثم يشير إلى ديكسون ولانجلوا :

« لقد هاجمني لانجلوا وديكسون بالأمس ولم أدافع عن نفسي . أما أمامكم فسأدافع عنها .. ليس من أجلي ، بل من أجلكم . لا أريدكم أن تذهبوا للفخ بأرجلكم . »

(غرفة تليفون)

أغلق لوسيان ديرجيو غرفة التليفون عليه في ضاحية فقيرة . يدلي برقم وهو يرتعش وينتظر على مضض .

يجفف العرق بيده الأخرى من فوق جبينه . بينما يراقب الشارع الخاوي من وراء الباب الزجاجي بعيون كلها ذعر .

(مكتب قائد الجند)

قائد الجند جالس أمام مكتبه وهو مُنحنٍ على خريطة وقد أحاط به رؤساء مناطق عديدون في زيهم الرسمي . يشعر المرء أنهم جميعًا مستعدون للعمل - عمل محدود معين .

يدق التليفون الذي يقطع الصمت .

يرفع رئيس الجند سماعة أحد التليفونات العديدة الموضوعة على المكتب ، وهو يصغي ويحدج مرؤوسيه بنظرة تدل على أن هذه هي المكالمة التي كانوا ينتظرونها .

ينصت لحظة ، وجهه منتبه ، وهو يجيب على الطرف الآخر :

« نعم ... نعم ... »

يخاطب أحد مرؤوسيه في أمر :

« اكتب هذا .. ملتقى شارع دالهين .. مرآب دوبريل السابق . »

يصيح بيير في انفعال وهو ينهي شرحه :

« هل تثقون فيّ أيها الرفاق ؟ »

يرتفع صوت ديكسون :

« أيها الرفاق ! »

لكن بيير يستدير في عنف ناحيته وهو يأمره :

« أَغلق فمك يا ديكسون . ستتكلم عندما أعطيك أوامري » .

ثم يضيف وهو يشير إلى جماعة الرجال من حوله :

« مادام الرفاق لم يدينوني ، فما زلت رئيسهم . »

ثم يقول صوت شخص مجهول متسائلاً :

« وزوجة شارليه يا بيير ؟ »

يجيب بيير :

« نعم .. زوجة شارليه . »

يخطو خطوة ناحية الرجل الذي سأل :

« نعم ، أنا أعرف زوجة شارليه . نعم أنا أعرفها .. وأنتم ، هل تدرون ما فعلته ؟ لقد تركت زوجها لتعيش معي . إنها هي التي ثوّرتني . لقد غُدِرَ بنا أيها الرجال ، لقد غُدِرَ بنا . »

لا يزال يتكلم ، ولا يزال يخطو أمـــام الجـــمع في عصبية ويشعر المرء أن الآخرين قد بدءوا يثقون به .

يواصل : « لقـد أُمِرَ الجند أن يتـركوا ثكناتهم . لقـد دخلت المدينة ثلاث فرق في الليلة الماضية . . »

يرجع إلى السيارة القديمة ويخاطب ديكسون ولانجلوا البعيدين كل البعد عن الاقتناع بكلامه .

« إننا مـعروفون جميعًا للحاكم . هو يعلم ما ندبره . لقد جعلنا نستمر إلى الآن حتى يستطيع أن يسحقنا جميعًا سحقًا تامًا . . »

يصر أحد الرجال : « ما الذي يؤكد لنا صحة هذا ؟ »

يلتفت بيير ثانية ناحية الحشد :

يجيب :

« لا شيء . هذا سؤال للثقة . أتريد أن تدين إنسانًا خدم معك عشر سنين أم سوف تتقبل كلمته دون نقاش ؟ »

هذا القول إنما يثير ردود أفعال مختلفة بين المتآمرين.

يصر بيير:

« إذا كنت خائنًا ، فماذا جئت أفعل بينكم ؟ »

ينفصل رجل من الجمع ويقف بجانب بيير .

يقول الرجل بصوت عميق :

« أيها الرفاق ، أما أنا فإنني أصدقه . هو لم يكذب علينا مطلقًا حتى الآن . »

يلحق به آخر وآخر وآخر .

« وأنا أيضًا . »

« وأنا يا بيير . »

يبدو التأثر على وجه بيير .

« وأنا معك يا دومين . »

يطلب منهم بيير أن ينصتوا .

« إذًا يجب أن تصغوا إليّ . لن نفعل شيئًا اليوم ، أنا.. »

يدق تليفون يقاطع كلماته .

بيير صامت .

تستدير كل الرؤوس ناحية ركن المرآب .

يشحب وجه لانجلوا فجأة ويقفز من فوق السيارة ويسرع إلى غرفة التليفون الصغيرة، بينما يظل الآخرون متوترين دون أن يتحركوا .

يسمع صوت لانجلوا المتقطع :

« نعم .. نعم .. أين ؟ كلاً .. ماذا ؟ .. في .. في .. انتظر أوامري . . »

يعود لانجلوا من غرفة التليفون بوجه قلق مُعذّب .

يتجه إلى الجماعة وينظر إلى بيير وديكسون ويخبرهما :

«لقد بدأت الفرقة الشمالية تهاجم ناحية المحافظة.»

تتجه كل الوجوه ناحية بيير الذي يُبّدي حركة تدل على اليأس والقنوط . تسقط ذراعاه ، ويتهدل كتفاه ، يتجه للناحية الخلفية للمرآب .

يسأل ديكسون منزعجاً :

« بيير .. ماذا علينا أن نفعل ؟ »

يستدير بيير وله سورة اليأس :

« ماذا يمكننا أن نفعل ؟ ليست لديَّ أدنى فكرة ، ولا أريد أن أحكم . »

ينطلق خطوات أخرى ، قبضتاه مطبقتان ، يستدير ثانية ويقول في عنف :

« أنتم لم تنصتوا إليّ عندما كانت هناك فسحة من الوقت . تستطيعون الآن أن تفعلوا ما تشاؤون . أنا أنفض يدي من الموضوع . »

وهو لا يمضي على أي حال . إنه يتجه إلى رفاقه ثانية ، يداه في جيبيه ، رأسه متدلٍّ .

يصر ديكسون :

« لقد أخطأنا يا بيير ، لكن لا تدعنا . أنت الوحيد الذي في استطاعته أن يفعل شيئًا . أنت تعرف ما سيفعلون .. »

دون أن يجيب بيير ، يذرع الأرض وعيون زملائه متعلقة به في ترقب .

وفجأة يرفع رأسه ويسأل في ابتسامة مريرة :

« كم الساعة الآن ؟ »

يتطلع ديكسون إلى ساعته :

يجيب :

« العاشرة والثلث . »

يتدبر بيير الأمر قليلاً .

وأخيرًا يرفع رأسه ويقول بجهود كبيرة :

« حسنًا ، سأبقى .. »

ثم يضيف في الحال وهو يخاطب ديكسون :

« لحظة واحدة ، عليّ أن أتكلم في التليفون . »

يتجه إلى غرفة التليفون ، يغلق الباب على نفسه بينما في الكوّة الضيقة على بعد ياردتين ، يبدو وجه لوسيان ديرجيو وهو يراقبه .

(حجرة استقبال شارليه)

تقف إيف وراء الأريكة والمسدس في يدها . لا يزال أندريه ولوسيت جالسين متجاورين . دون أن يتطلعا إلى بعضهما . إيف تكون قد أنهت كلامها .

تقول :

« هذه يا لوسيت هي زوجة أندريه . هل كذبت يا أندريه ؟ »

يجيب أندريه في مزيج من الخوف والترفع المصطنع :

« لن أرد ، أنت مجنونة . . »

تقول إيف ببساطة :

« حسنًا جدًا . . »

تنحني للأمام ، وتُخْرج حزمة من المفاتيح من جيب أندريه :

« حسنًا ، اذهبي يا لوسيت وأحضري الرسائل من مكتبه »

تمد حزمة المفاتيح إلى أختها ، لكن لوسيت لا تتحرك.

تكرر إيف بصوت أكثر ارتفاعاً :

« اذهبي واحضري الخطابات يا لوسيت ؛ هذا إذا كنت تعبئين بحياة أندريه . . »

وفي الوقت نفسه تحتفظ بالمسدس موجهًا إلى رأس أندريه .

تأخذ لوسيت المفاتيح مذعورة وتنهض وتتجه هي إلى الباب .

وفي هذه اللحظة يدق جرس التليفون .

تجفل إيف وأندريه .

أندريه على وشك أن ينهض ، لكن إيف تناديه آمرة .

تأمره :

« لا تتحرك . هذه المكالمة لي . . »

تتجه بسرعة إلى التليفون . يراقب أندريه ولوسيت إيف وهي تتناول السماعة .

ظهرها إلى الحائط ، والمسدس مصوب إلى الاثنين ، تجيب :

« هالو .. »

ثم يرق صوتها في الحال :

« اهذا انت يا بيير ؟ .. وبعد ؟ »

تصمت لحظة ، يكتسي وجهها تعبيراً بالشدة والألم .

« آه ، كلا .. كلا ، يا بيير .. »

تكرر وقد أخذت :

« لكن لا ، لا تقدر .. هذا غير ممكن . ستُقتل . هذا عبث . تذكر انني أحبك يا بيير . وقد رجعنا ، حتى يحب بعضنا بعضاً . »

(المخبأ)

من خلال زجاج غرفة التليفون يبدو بيير وهو يتحدث في التليفون .

هو متوتر ومتالم ايضاً ، لكن لا يستطيع أن يتراجع .

يتضرع إليها : « إفهميني يا إيف ، أرجوك يجب أن تفهمي . لا أستطيع أن أدعهم . لا تستطيعين أن تشليّني عن الحركة . نعم ، أعلم أن ليست لديهم فرصة ، لا أستطيع .. »

فوقه ساعة كهربائية تشير إلى العاشرة وتسع وعشرين دقيقة .

(خارج المخبأ)

عربتان معبأتان بالجنود تصلان بأقصى سرعة لهما وتقفان خارج المخبأ.

(حجرة استقبال شارليه)

إيف لا تزال تتكلم في التليفون .

« كلاًّ يا بيير . لا يجب . لقد كذبت عليّ . إنّك تهجرني . أنت لم تحبني إطلاقًا .. »

(المخبأ)

يجيب بيير :

« لكنني أحبك . أحبك ، لكن ليس لي الحق أن أدع رفاقي يضيعون . »

بيير لا يرى لوسيان ديرجيو الذي يصوّب إليه مسدسه بعناية من خلال الكَوّة الصغيرة .

يقول بيير متألمًا :

« إيف .. إيف ! »

يطلق لوسيان ديرجيو النار في غضب جنوني .

(حجرة استقبال شارليه)

يدوي التليفون بصوت طلقات المسدس المدوية .

وكمـا لو كانت إيف قد أصـابتهـا الـرصـاصـات تتـرنح على الجدار وتسقط على الأرض .

ينهض أندريه دفعة واحدة ، بينما تصرخ لوسيت .

(الخبا)

يندفع عـدد من الـرجـال إلى غـرفـة التليـفـون التي يتكسر زجاجها . وإذ يفتح أحدهم الباب ينزلق جسد بيير تحت أقدامه .

وفي الوقت نفسه يبدأ مدفع رشاش عمله .

يصيح صوت :

« الجنود ! »

ينهـال سيل من الطلقـات على قـفل البـاب . ينتـشـر المتآمرون في كل اتجاه مندفعين إلى الأركان يحاولون أن يجدوا مخبأ .

وفي الوقت نفسه، تكون قـد أُحضـرت الأسلحـة التي جمعوها .

ينفـتح البـــاب . يطلق الجنود النار في كل اتجـــاه . يجيب عليهم المتآمرون ، لكنهم يضيعون .

تلقى القنابل المسيلة للدموع خلال نافذتين وهي تنشر غازها الخانق .

ديكسون ولانجلوا عيونهما مليئة بالدموع ، يطلقان النار من وراء السيارة .

زملاؤهما حولهما يسعلون ، وبعضهم توقف عن إطلاق النار ليمسحوا دموعهم .

رصاصة تصيب الساعة الكهربائية التي يشير عقربها إلى العاشرة والنصف .

في هذه اللحظة ، تدوس رِجْلا بيير على جثته[١].

يتوقف لحظة ، في مدخل الباب ، يتطلع حوله ، ويهز كتفيه .

ثم يتقدم خلال الدخان الذي أخذ يتكاثف في كل لحظة .

وفي الخارج ، الجنود يحيطون مدخل الباب وبنادقهم مصوبة إليه ، وهم ينتظرون المتمردين لكي يسلموا .

يغادر بيير المخبأ ، ويمر خلال صفوف الجنود دون أن يروه .

---

(١) بطبيعة الحال هذا هو بيير الروح الذي ينهض ، وهو بيير آخر غير الجسد الملقى تماماً كما كان الحال في بدء الرواية عندما اغتيل بيير واصبح هناك شخصان منه . (المترجم).

(المتنزه)

المنتدى مغلق . هناك أيضًا المعركة قد تركت آثارها ، النوافذ محطمة .

الجدران عليها علامات ثقوب الرصاص . غصون الأشجار ملقاة على أرض المرقص وممرات المتنزه .

مناضد ومقاعد قد نُزعت في عجلة وأخرى مقلوبة ومبعثرة في كل مكان .

بيير وإيف جالسان على غصن . هو مُنحن ، مرفقاه على ركبتيه . إيف بجانبه ، لكن هناك مسافةً بينهما .

كل شيء حولهما مهجور .

بعض الموتى وحيدون يتسكعون على مبعدة .

وأخيرًا تتطلع إيف إلى بيير وتقول برقة :

« لم يُفقد كل شيء يا بيير . هناك من سيقوم بدورك. »

« أنا أعرف آخرين . وليس أنا . »

تغمغم برقة متناهية :

«يا عزيزي بيير المسكين ..!»

يرفع راسه ويسأل :

« ولوسيت ؟ »

وإذ يرى إيف تهز كتفيها ، يبتسم :

« يا للصغيرة المسكينة ! »

على أي حال ، يبدو للمرة الأولى أن المرأة قد أصابها عدم اكتراث بالموت .

تقول في هدوء :

« ستصير واحدة من الموتى مثلنا خلال عشر سنوات قليلة .. وهذا وقت قصير لكي نحيا خلاله .. »

يظلان صامتين .

وفجأة يسمعان صوتًا يقول :

« لم أتوقع مطلقًا أن أراك هنا . »

يتطلعان وهناك أمامهما الرجل العجوز من القرن الثامن عشر ، وهو مبتهج دائمًا كعادته . يسأل :

« لم تتجمع ؟ »

يجيب بيير :

« ستمائة قتيل وجريح . والفان مقبوض عليهم . »

يومئ تجاه المكان الذي تنبعث منه الطلقات ويضيف:

« ولم ينته بعد .. »

« وأنتما .. كم ... ؟ »

تجيب إيف :

« كلاً ، كم . لقد تمت اللعبة كما ترى . لا يستطيع المرء أن يسترد دَيْنه . »

يقول الرجل لهما مؤكداً :

« لكما كل عطفي ، صدقاني . »

لكن كانت لديه رغبة وحيدة هي أن ينطلق بأسرع ما يمكن .

وفي هذه اللحظة التي تمر فيها امرأة ميتة حلوة قريبًا منهما ، يقول معتذرًا :

« دعاني اذكّركما بأن ناديّ مفتوح دائمًا لك وللسيدة ايضًا . »

يحني بيير وإيف راسيهما في صمت تحية . يظلان قليلاً جالسين هكذا متجاورين دون أن يتكلما . ثم يقول بيير دفعة واحدة :

« أنا أحبك يا إيف . »

« كلاً يا بيير . لا أعتقد أنك تحبني . »

يؤكد لها :

« أنا أحبك من كل قلبي . »

« هذا ممكن فـوق كل شيء . لـكن في الوقت الحـالي لن يغير هذا شيئًا . »

تنهض إيف .

يتبعها بيير وهو يغمغم :

« نعم ، لن يغير هذا شيئًا . »

يظلان لحظة واقفين أمام بعضهما البعض متحيرين، وصـوتهـمـا يكشف عن عـدم اكـتـراث مليء بالكآبة واللطافة معًا .

يسأل بيير:

« هل ستأتين إلى هذا النادي ؟ »

« ربما . »

« حسنًا ، إذًا .. سوف أراك سريعًا . »

يتصافحان وينفصلان .

لكن لم يكادا يخطوان ثلاث خطوات ، حـتـى اندفع شخصان شابان ناحيتهما .

تبين بيير الفتاة الصغيرة التي أغرقت نفسها والتي كان قد رآها في زقاق لاجونزي .

تسأل بيير في حالة من القلق فظيعة:

« سيدي ، هل انت ميت ؟ »

يومئ بيير برأسه .

تتابع :

« لقد اكتشفنا أننا خُلقنا لبعض . »

وتضيف : « ولم نلتق على الأرض مطلقًا . لقد أخبرنا أحدهم عن المادة ١٤٠ . فهل تعرف شيئًا عن ذلك ؟ »

بيير يتبادل الابتسام مع إيف دلالة العارف بالأمر . يجيب ببساطة :

« تستطيعين أن تستعلمي من زقاق لاجونزي . . »

تضبط الفتاة نظرة بيير . تلتفت إلى إيف :

«إننا نبحث عن هذا الزقاق في كل مكان .. أين هو ؟»

تشير إيف مبتسمة إلى المنتدى .

« اذهبا وارقصا معًا .. وإذا كنا لم نخطئ ، وستجدان نفسيكما هناك فجأة .. »

ينظر الاثنان مندهشين ، لكنهما يريدان تمامًا أن يصدقا .

يغمغمان :

« شكرًا . . »

تتشابك يداهما وهما مضطربان للغاية ، يبدآن في المشي ، لكن بعد لحظة يرجعان ليسألا في رقة :

« أنت تبدو متفكّهًا .. هذا حق ، اليس كذلك ؟ لن يحدث لنا ضرر ؟ »

يصر الرجل :

« انستطيع حقًا أن نحاول أن نعيش الحياة ثانية ؟ »

يتطلع بيير وإيف إلى بعضهما البعض في تردد .

يبتسمان برقة للاثنين .

ينصحهما بيير :

« حاولا . . »

تغمغم إيف :

« حاولا على أي حال . . »

وقد تأكد لهما الأمر فإنهما ينطلقان ناحية المنتدى .

ثم يستدير بيير إلى إيف برقة متناهية ، ويُحْدث إشارة برأسه كأنه يقول :

« أستودعك الله »

ترفع إيف يدها وهي تبتسم متأثرة .

ثم تهوى أيديهما بجانبهما . ثم يستديران وينطلقان ، كل من الجهة المقابلة في بطء .

وهنالك على أرض المرقص المهجور ، الصغيران يحيطان بعضهما البعض بأيديهما ويبدآن الرقص وهما يحاولان أن يعيشا من جديد .

(النهاية)



تمت اللعبة

كتاب الفيلسوف الفرنسي سارتر (تمت اللعبة) يتناول زوجة ماتت وبعد الموت تعرف أن زوجها قد سمها ليتزوج أختها الأصغر والأغنى، والزوج زعيم حزب سياسي يُقْتل وهو يدبر انقلابًا، وبعد الموت يعرف أن البوليس أعد كمينًا لحزبه.

وفي العالم الآخر يلتقيان ويحبان بعضهما، وقد طلبا من السلطات العلوية العودة إلى الأرض لممارسة الحب؛ فسمح لهما لمدة ٢٤ ساعة، فإذا استمر الحب يومًا كاملاً سيكتب لهما الخلود أم سوف ينشغلان بإنقاذ الذين يحبونهم.

فهل ينشغلان بأعبائهم على حساب حبهما، وتكون قد تمت اللعبة؟



ISBN 9789773563808



www.halapublishing.net
hala@halapublishing.net